

أزمة الوزارة في عهد الخليفة الفاطمي الظافر

بأمر الله الوزير العادل علي بن السُّلار نموذجاً (٥٤٤-٥٤٨هـ/١١٤٩-١١٥٣م)

لؤي إبراهيم بواعنة *

ملخص

تعالج هذه الدراسة شخصية الوزير العادل بن السُّلار، وظروف عصره، وعلاقاته بالقوى السياسية المختلفة، ومصيره. كما جاءت بهدف تسليط الضوء بشكل خاص على أزمة الوزارة في عهد الخليفة الفاطمي الظافر بأمر الله، وبيان آثارها على دولة الخلافة الفاطمية بمصر. فقدمت صورة واضحة للعادل بن السُّلار كنموذج لتلك الأزمة. ابتدأت الدراسة بالبحث في نسبه وشخصيته، ورصدت نشاطه العسكري حتى بلوغه الوزارة. ركزت الدراسة على صراعه مع الوزير بن مصال. وبينت حقيقة أسباب هذا الصراع ومجرياته حتى نبهه الوزارة. وأوضحت الدراسة إنجازاته في مجال التعليم ودعمه لأهل السنة، وإصلاحاته العسكرية وغيرها. وعرضت موقفه من الغزاة الفرنج، وتقاربه العسكري مع نور الدين محمود ضد الفرنج، وكذلك التناقض في صفاته. واختتمت الدراسة بالبحث في ظروف اغتياله، وأثارها على الدولة الفاطمية.

الكلمات الدالة: ابن السُّلار، الوزارة، الخليفة الظافر بأمر الله، الدولة الفاطمية.

المقدمة

هو سيف الدين أبو الحسن علي بن السُّلار الكردي الملقب بالملك العادل^(١)، وزير الخليفة الفاطمي^(٢) الظافر بأمر الله^(٣)، وقيل اسمه أبو منصور علي بن إسحاق^(٤) كردي الأصل^(٥).

- * جامعة البلقاء التطبيقية، كلية عمان الجامعية. تاريخ استلام البحث ٢٣/٨/٢٠١٥م، وتاريخ قبوله للنشر ٩/١٢/٢٠١٥م.
١. لقب ابن السُّلار بالعادل بعد أن أصبح وزيراً للظافر بأمر الله. ابن منقذ، مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن منقذ الشيزري (ت ٥٨٤هـ/١١٨٨م)، الاعتبار، تحقيق قاسم السامرائي، منشورات وزارة الثقافة، مطبعة السفير، عمان، ٢٠٠٩، ص ٣١، سيشار له لاحقاً، أسامة بن منقذ، الاعتبار، ابن الطوير، أبو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن القيسراني (ت ٦١٧هـ/١٢٢٠م)، نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، جمع ونحقيق أيمن فؤاد سيد، دار فرانتس شتاينر شتوتغارت، ط ١، ١٩٩٢، ص ٥٩، سيشار له لاحقاً، ابن الطوير، نزهة، G. Wiet: Al-Adil B. Al-Salar, EI2, v. 1, p. 198, سيشار له لاحقاً.
 ٢. ابن الطوير، نزهة، ص ٥٧، الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج ١٥، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ٢٠٠٥م، مج ١١ سنة ٥٧١-٦١٠هـ، ص ٤٩١، سيشار له لاحقاً، الذهبي، تاريخ الإسلام، الصفي، صلاح الدين خليل بن أبيك (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م)، الوافي بالوفيات، ج ٢٤، تحقيق أبو عبد الله جلال الأسبوطي، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ٢٠١٠م، ج ١٧، ص ٩٨، سيشار له لاحقاً، الصفي، الوافي، Wiet: Al-Adil B. Al-Salar, v. 1, p. 198.
 ٣. ابن الطوير، نزهة، ص ٥٩، ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت ٦٣٢هـ/١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، ج ١٣، دار صادر، بيروت، ١٩٦٥م، مج ١١، ص ١٤٢، ١٨٤، سيشار له لاحقاً، ابن الأثير، الكامل.

ارتبط تاريخ قدوم ابن السُّلار وعائلته إلى مصر بالحملة الصليبية الأولى على بيت المقدس واحتلال الفرنج لها ١٠٩٩م، فقيل إن والده كان في صحبة سقمان بن ارتق^(٦) حاكم القدس، وعندما تمكن الأفضل بن بدر الجمالي أمير الجيوش من أخذ القدس منه^(٧)، وجد فيها طائفة من عسكر سقمان فضمهم إليه، وكان السُّلار^(٨) والد علي أحدهم^(٩).

تقدم السُّلار عند الأفضل وحظي عنده بالمكانة والاحترام وسماه "ضيف الدولة"، وأكرم ولده وجعله في صبيان الحُجَر^(١٠) عندهم، وكان من سنن الدولة الفاطمية أنه إذا تميَّز صبي من هؤلاء قدم

٤. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج٤، تقديم محمد المرعشلي، أعد فهارسها رياض عبد الهادي، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ط١، بيروت، ١٩٩٧، ج٢، ص١٩٩، سيشار له لاحقاً، ابن خلكان، وفيات.

٥. يقال إنه كان من قبيلة زرزاري فهو زرزاريا. انظر: ابن الطوير، المقلتين، ص٥٧، ابن خلكان، وفيات، ج٢، ص١٩٨، الذهبي، تاريخ الإسلام، مج١١، ص٤٩١، الصفدي، الوافي، ج١٧، ص٩٨.

٦. سقمان (سكمان) بن ارتق التركماني، حاكم ماردين وخلاط، وديار بكر، كان أميراً على القدس بعد أبيه هو وأخيه، وعندما قصدهما الأفضل شاهنشاه عاداً للجزيرة وأخذاً ديار بكر، توفي سقمان عام ٤٩٨هـ/١١٠٥م. الذهبي، تاريخ الإسلام، مج١٠، ص٦١٤.

٧. ذكر ابن ميسر أنه في شعبان من سنة ٤٩١هـ/١٠٩٨م كان خروج الأفضل شاهنشاه بعساكره إلى بيت المقدس، وكان بها الأمير سكمان وإيلغازي ابناً ارتق التركماني في جماعة من أقاربهما ورجالهما وعساكر كثيرة من الأتراك، فراسلها الأفضل لتسليم بيت المقدس بدون حرب فرفضوا، فنصب المجانيق وتمكن من تسلمها. انظر: ابن ميسر، تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن جلب راغب (ت ٦٧٧هـ/١٢٧٨م)، المنتقى من أخبار مصر، تحقيق أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٨١، ص٦٥، سيشار له لاحقاً، ابن ميسر، المنتقى. أما ابن الأثير فقد ذكر أن بيت المقدس كانت بيد تاج الدين نتش حاكم دمشق السلجوقي فأقطعها للأمير سقمان بن ارتق، ولما رأى المصريون ضعف الأتراك، ساروا إليها وحصروها وبها الأمير سقمان وإيلغازي وحصروها حتى ملكوها في شعبان من سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٦م، وقيل إن الأفضل أحسن إلى سقمان وإيلغازي ومن معهما، وأجزل لهم العطاء، وسيرهم فساروا لدمشق ثم عبروا الفرات واستتاب المصريون رجالاً يُعرف بافتخار الدولة، وبقي بها حتى حاصره الفرنج وأخذوها منه عام ٤٩٢هـ/١٠٩٩م، ولبث الفرنج أسبوعاً يقتلون أهلها ثم أعطوهم أماناً فخرجوا لعسقلان، وأقاموا فيها. انظر: ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٨٢-٢٨٣.

Wiet: Al-Adil B. Al-Salar, v. 1, p. 198.

٨. ولا نعرف إن كان هناك ارتباط بين مصطلح السُّلار أو سلال وبين مهمته ووظيفته من حيث الإمارة حيث وردت إشارات لتولي من يحملون هذا الاسم لذلك فقد ذكر ابن القلانسي أنه في سنة ٥١١هـ توفي السُّلار بختيار شحنة دمشق، وأقيم ولده السُّلار عمر في منصبه. ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة بن أسد التميمي (ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م)، تاريخ ابن القلانسي المعروف بذيّل تاريخ دمشق، مطبعة الآباء اليسوعيين، د. ط بيروت، ١٩٠٨، ص١٩٨، سيشار له لاحقاً، ابن القلانسي، ذيل، كما ذكر أنه في سنة ٥١٦هـ أرسل الوزير المصري المأمون إلى صور أسطولا من عنده وقبض على الأمير سيف الدولة مسعود بن سلال واليها فإنه خالفه واتبع أمير دمشق وأحضره مقهوراً، ثم أحسن إليه. وأكرمه ثم أعيد لدمشق، انظر: ابن القلانسي، ذيل، ص٢٠٧، ابن الأثير، الكامل، مج١٠، ص٦٢٠-٦٢١، ابن ميسر، المنتقى، ص٩٣. وهذا يعني أنه كان هناك أكثر من قائد عسكري تولى مسؤولية شحنة دمشق وغيرها (عند سلاجقة الشام) ولقب بـ سلال، وربما أنه كان والد علي بن السُّلار، سلالاً للقدس أو قائداً عسكرياً هناك بلديلاً أن والده كان بصحبة سقمان صاحب القدس، ثم انضم إلى الأفضل بن بدر الجمالي ربما طوعاً وأعلن ولائه له بعد احتلاله للقدس.

٩. ابن خلكان، وفيات، ج٢، ص١٩٩، الصفدي، الوافي، ج١٧، ص٩٩ Wiet: Al-Adil B. Al-Salar, v. 1, p. 198.

١٠. ذكر يحيى ابن أبي طيء (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) في مصنفه المفقود أن المعز لدين الله جعل لكل ماهر صنعة، وشرط على ولاة الأعمال عرض أولاد الناس بأعمالهم، فمن كان ذا شهامة وحسن خلقة أرسله ليعلم في الركاب، فسيروا إليه عدداً

للإمارة، فترجع علي بن السُّلار بصفات فأمره الحافظ^(١١) وولاه الإسكندرية، وكان يعرف برأس البغل ثم كان ما كان من أمره ببلوغه الوزارة^(١٢).

- النشاط العسكري لابن السُّلار، منذ بداية حياته العسكرية حتى بلوغه الإمارة
- علي بن السُّلار في الحُجَر والإمارة

كان علي بن السُّلار صاحب عقلٍ ونباهة وشجاعة منذ ضمه الخلفاء الفاطميون لدولتهم، وجعلوه في صبيان الحُجَر، كما كان لكفائته وتميزه دور كبير في تقدمه في الدولة، إضافة لاهتمامهم بوالده وبمكانته عندهم، فحاز مرتبة متقدمة أهلته للإمارة لقول ابن الطوير: "فإذا ظهر أثر الواحد منهم، ونبغ في شيء مما أخرج إليه صُير أميراً وولي مكاناً"^(١٣). ولقول المقرئزي: "وكانوا إذا سمي الرجل منهم بعقل وشجاعة خرج من هناك إلى الإمارة، أو التقدمة مثل علي بن السُّلار وغيره"^(١٤). وهذا يعني أنه نبغ في مرحلة التربية التي قضاها بالحُجَر، ونجح في المهام الموكولة إليه، مما زاد من أهميته وحظوته عند الخلفاء، وكبار أمراء الدولة ورجالها حتى قدموه، وأعلوا من شأنه، فصار أميراً من غير الحديث عن تفاصيل تلك المهام في تلك الفترة.

منهم، فأفرد لهم دوراً وسماها الحُجَر، والحُجَر كانت برسم الصبيان الحُجَرية وهو مكان كبير جمع حجرة، كان فيها الغلمان المختصون بالخلفاء، كما هي بالقلعة البيوت التي كان يقال لها الطباقي، والحُجَر مكان كبير في صف دار الوزارة إلى جانب باب القوس الذي يسمى باب النصر قديماً على يمين الخارج من القاهرة، وكانت تربي فيه جماعة من الشبان الذين يسمون صبيان الحُجَر، وهم يناهزون الخمسة آلاف، ولكل حجر اسم تعرف به، وعندهم سلاحهم، وقال ابن الطوير: هم جماعة كانوا يكونون في جهات مفردة، كل واحد منهم يعلم فناً من أنواع الحرف والعلوم التي تحتاج إليها من الشجاعة والفروسية وغير ذلك. وكان إذا كبر الصبي سلم إليه سلاح كامل فإذا أخذوا، أو قيل لهم عن شغل، خرج كل منهم لوقتته، ولم يمنع مانع، وهم على نمط الداوية والاسبترية عند الفرنج، وكان لا يأوي أحد منهم إلا بحجرته وفرسه، وعدته وقماشه، وللصبيان الحُجَرية حجرة مفردة عليهم استاذون يبيتون عندهم وخدام برسمهم، وكان إذا سمي الرجل منهم بعقل وشجاعة، أو إذا نبغ في شيء مما أخرج إليه صُير أميراً وولي مكاناً. انظر: ابن الطوير، نزهة، ص ٥٧-٥٨، ابن خلكان، وفيات، ج ٢، ص ١٩٩، الصفدي، الوافي، ج ١٧، ص ٩٩، المقرئزي، نقي الدين أحمد بن علي (ت ١٤٥٥هـ/١٤٤١م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئزية، ج ٤، وضع حواشيه خليل المنصور، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٩٩٨م، ج ٢، ص ٣٥١-٣٥٣، سيشار له لاحقاً، المقرئزي، الخطط.

١١. هو الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد بن الأمير أبي القاسم بن المستنصر بالله، صاحب مصر تولى الخلافة عام ١١٣٢هـ/٥٢٦م وتوفي عام ١١٤٩هـ/٥٤٤م، وكان الحكم خلال خلافته لوزرائه، ولم يستوزر أحداً بعد وزيره رضوان بن اللولخشي، وتولي الحكم بعده ولده الأصغر إسماعيل ولقب بالظافر بالله. انظر: ابن القلانسي، ذيل، ص ٣٠٨، ابن الأثير، الكامل، مج ١١، ص ١٤١-١٤٢، ابن ميسر، المنتقى، ص ١٤٠-١٤١، ابن ظافر الأزدي، جمال الدين أبو الحسن علي بن منصور ظافر بن حسين (ت ٦١٣هـ/١٢١٦م)، أخبار الدول المنقطعة، ج ١، تحقيق عصام هزليمة وآخرون، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية، دار الكندي، ط ١، إربد، ١٩٩٩، ص ٢٤٠-٢٤٨، سيشار له لاحقاً، ابن ظافر، أخبار الدول.

١٢. ابن الطوير، نزهة، ص ٥٧-٥٩، ابن خلكان، وفيات، ج ٢، ص ١٩٩، الصفدي، الوافي، ج ١٧، ص ٩٩، Wiet: Al- 99 . Adil B. Al-Salar, v. 1, p. 198

١٣. ابن الطوير، نزهة، ص ٥٨.

١٤. المقرئزي، الخطط، ج ٢، ص ٣٥٣.

أما المرحلة الثانية من نشاطه العسكري، فقد بدأت زمن الوزير المأمون ابن البطائحي (٥١٦-٥١٩هـ)^(١٥) الذي أراد أن يولي أخاه^(١٦) جانباً عظيماً من ديار مصر، ويجعل معه عسكرياً، فبرز اسمه ضمن الفرسان الذين اتخذهم أخو المأمون لجانبه، خارج الديار المصرية، للاستعانة به، في حالة أراد الخليفة الضرر بوزيره المأمون، وبذلك يضمن المأمون، بسياسته هذه، إحكام سيطرته على السلطة بالداخل بنفسه، ومن الخارج بواسطة أخيه^(١٧). ومن المؤكد أن هذه المرحلة كانت بعد خروجه من الحُجْر، إذ صار فارساً يشار إليه بالبنان، بدليل مشاركته بمهام خطيرة مهمة مع كبار رجالات الدولة الفاطمية.

كان ابن السلار فارساً مميّزاً في عساكر المؤتمن الذين جردهم المأمون مع أخيه، والذين وصل عددهم لمئة فارس، وقيل فيهم إنهم كانوا من كبراء الأجناد، وأضاف إليهم عدداً من الفرسان من أمثالهم^(١٨) وكان علي بن السلار واحداً منهم، والذين وصفت شجاعتهم بالقول: "كل واحد من هؤلاء جيش بمفرده"^(١٩). وفي هذا دليل على ما كان عليه ابن السلار والفرسان أمثاله من الشجاعة والقوة. عاد اسم ابن السلار للظهور ثانية، عند اعتقال الوزير المأمون وأخيه من قبل الخليفة الأمر بأحكام الله^(٢٠) بعد أن ترامى لمسامعه نواياهما ومخططاتهما ضده^(٢١)، فكان له اليد الطولى في

١٥. أبو عبد الله محمد بن الأمير نور الدولة أبي شجاع فائق بن الأمير منجد الدولة والمعروف بابن البطائحي، تربي يتيماً ثم صار جمالاً بالسوق، ثم أخذه الوزير الأفضل واستخدمه مع الفرائشين ثم تقدم عنده، فقتل الأفضل عام ١١٢٢م وتولى مكانه فصار وزيراً لمصر، كان كريماً، شهماً، مقداماً، سفاكاً للدماء، قبض عليه عام ١١٢٥م وقتل، نعت بألقاب كثيرة. انظر: ابن الصيرفي، أمين الدين تاج الرياسة أبي القاسم علي بن منجب (ت بعد ١١٥٠هـ/١١٥٥م)، الإشارة إلى من نال الوزارة، تحقيق عبد الله مخلص، المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة، ١٩٣٣م، ص ٦٢-٦٣، سيشار له لاحقاً، ابن الصيرفي، الإشارة، ابن ميسر، المنتقى، ص ٨٧ - ٨٨، ١٠٣، الذهبي، تاريخ الإسلام، مج ١١، ص ٧٦ - ٧٧. ولمزيد من التفاصيل عن المأمون انظر: سليمان عبد خرايشة، المأمون البطائحي وزيراً للخليفة الأمر بأحكام الله الفاطمي، (٥١٥ - ١١٢٢هـ/١١٢٥-١١٢٥م)، أبحاث ودراسات في التاريخ العربي مهداة إلى ذكرى مصطفى الحيارى ١٩٣٦-١٩٩٨، تحرير صالح الحمارنة، منشورات الجامعة الأردنية، عمان (٢٠٠١)، ص ١٦٥-٢٢٥، سيشار له لاحقاً، خرايشة، المأمون..

١٦. هو حيدرة بن فائق بن مختار، المؤتمن، سلطان الملوك، نظام الدين، أبو تراب بن الأمير نور الدولة أبي شجاع، نشأ بالقاهرة ثم انضم للأفضل، وعندما تولى أخاه الوزارة، صارت الية تقدمه العساكر، ثم ولي الإسكندرية والأعمال وغيرها سنة ١١٢٤هـ/١١٢٤م، قبض عليه مع أخيه عام ١١٢٥هـ/١١٢٥م. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)، تاريخ المقريزي الكبير المسمى المقفى الكبير، ٦ مجلدات، تحقيق محمد عثمان، دار الكتب العلمية، ط ١، لبنان، ٢٠١٠، مج ٣، ص ٣١٩-٣٩٤، سيشار له لاحقاً، المقريزي، المقفى.

١٧. ابن الطوير، نزهة، ص ١٢، المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)، اتعاط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق محمد حلمي محمد، ج ٣، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٧٣، ج ٣، ص ١١٢، سيشار له لاحقاً، المقريزي، اتعاط.

١٨. وهم علي بن السلار، تاج الملوك قايماز، سيف الملك الجمل، دري الحرون، وحسام الملك. ابن الطوير، نزهة، ص ١٢، المقريزي، اتعاط، ج ٣، ص ١١٢.

١٩. ابن الطوير، نزهة، ص ١٢، المقريزي، اتعاط، ص ١١٢.

٢٠. هو الأمر بأحكام الله أبو علي المنصور ابن الخليفة المستعلي، تولى الخلافة وهو صغير السن وعمره بحدود خمس سنين، ولد عام ١٠٩٧هـ/١٠٩٧م وقتل سنة ١١٣٠هـ/١١٣٠م، قتله جماعة من النزارية بجزيرة مصر، كان جواداً بالمال،

التخطيط للايقاع بهما، وإفشال تحالفهما ضده، بدليل الرسالة التي حملها أحد الأساتذة^(٢٢) الثقة من قبل الخليفة للإسكندرية، وفي ظاهرها معالجة مسألة ما، وفي باطنها الايقاع بهما إذ دعاه للاجتماع بابن السُّلار وإبلاغه مقصد الخليفة، واعتماده عليه وثقته به، وإفشال مخطط المأمون وأخيه بقوله: "أحرص على اجتماعك بعلي بن السُّلار في المسابرة، وسلم عليه عتاً، وقل له إننا ما زلنا نلتفت إليه وندخره لمهماتنا ونتحقق فيه الموافاة لنا، وإننا بحمد الله قادرون على المكافأة بالخير أكثر من غيرنا، وقد تلونت أحوال المأمون وبالغ في عقوقنا بأشياء لا يتسع لها ذكرنا ومقصودنا أن تكتم عنا ما نقول لك"^(٢٣).

تدل الرسالة الموجهة من الخليفة الفاطمي الأمر بأحكام الله إلى ابن السُّلار شخصياً على أهميته، وأنه موضع ثقة الخليفة وسره، وممن يعتمد عليه، وأن الخليفة يدخره ويركن إليه في تنفيذ المهام، شرطاً عليه السرية في تنفيذ ذلك مع عود بالعتاء والخير الجزيل والتقدم والمكانة؛ في حالة نجاحه بمهمته ضد المأمون وأخيه بعد تغييرهما على الخليفة وتماديهما، وفي هذه استمالة له إلى جانبه دون المأمون وأخيه. وهذا يعني أيضاً أنه اشترك في مؤامرة على الوزير المأمون مقابل المناصب والمال التي وعده بها الخليفة على الرغم من صداقته للمؤتمن، أخي الوزير المأمون، وهذا دليل واضح على ما تحلى به ابن السُّلار من جرأة، ومراوغة وشجاعة وتقديم للمصلحة الخاصة مقابل الوصول للسلطة، والولاء للخليفة الفاطمي من جهة أخرى.

لم يتردد ابن السُّلار في تنفيذ ما طلبه الخليفة منه معلناً السمع والطاعة بقوله: "السمع والطاعة لمولانا وأنا مملوكه، وباذل نفسي في خدمته"^(٢٤). ثم طلب منه ابن السُّلار الكشف عن مهمته فقال

جائر السيرة، كثير التظاهر باللعب واللهو. انظر: ابن ظافر، أخبار الدول، ص ٢٣٤-٢٤٠، ابن ميسر، المنتقى، ص ١٠٩-١١٢.

٢١. بعد موت المستنصر بالله مال الحسن بن صباح رئيس الإسماعيلية للقول بإمامة ولده نزار بن المستنصر وأنكر إمامة المستعلي بالله أحمد وإمامة ابنه الأمر، وخطط لقتل الأفضل، والأمر والمأمون من بعده، وقيل إن المأمون أرسل لليمن أحد الأبداء ليحقق نسبه هناك ويدعو الناس لبيعتة، وادعى الخلافة وأنه من ولد نزار من جارية خرجت من القصر وهي حامل عندما خرج نزار إلى الإسكندرية، وأنه أمر بضرب السكة باليمن ويكتب عليها "الإمام المختار محمد بن نزار"، فانزعج الخليفة الأمر، وأخذ يتحين الفرصة ويخطط للايقاع به وبأخيه بعد عودته من الإسكندرية والغربية والبحيرة والجزيرتين والدقهلية والمرتاحية. انظر: ابن الطوير، نزهة، ص ١١٢-١١٣، ابن ميسر، المنتقى، ص ٩٧-١٠٤، المقرئ، اتعاظ، ج ٣، ص ١١٢-١١٣.

٢٢. وهم إحدى الفرق الخاصة بالخليفة، ويشكلون الطبقة الرفيعة من خدام الخليفة والملازمين له، والحائزون على كثير من وظائف الدولة الهامة ومنها: مجالسته ومذاكرته، وتولي ديوان المجلس، وملازمته في مسير الركوب، والمواكب، وغيرها وهم على طبقات. انظر: ابن الطوير، نزهة، ص ٧٤-٧٥، ٨٨، ١٦٣، أيمن فؤاد سيد، الدولة الفاطمية في مصر، تفسير جديد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ٢٠٠٧، ص ٢٦٨، سيشار له لاحقاً، سيد، الدولة الفاطمية، محمد عبد الله سالم العميرة، الجيش الفاطمي ٢٩٧-٥٦٧/٩٠٩-١١٧١م، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، ط ١، عمان، ٢٠١٠م، ص ١٤٧-١٤٩، سيشار له لاحقاً، العميرة، الجيش الفاطمي.

٢٣. ابن الطوير، نزهة، ص ١٣، المقرئ، اتعاظ، ج ٣، ص ١١٣، المقرئ، المقفى، ج ٣، ص ٣٩٣.

٢٤. ابن الطوير، نزهة، ص ١٣-١٤، المقرئ، اتعاظ، ج ٣، ص ١١٣.

له الأستاذ: "تحدث رجالك بأجمعهم في الانفصال عن المؤتمن، أنت ومن تثق به"^(٢٥) وبدأ ابن السلار بتنفيذ خطته، وأخذ يحرض الأمراء والفرسان على المأمون وأخيه ونجح في ذلك، بدليل تفرق الأمراء بأجمعهم عنه ومنهم: الأمير قايماز ودرى الحرون، إذ كانا أميرى الجماعة، وتبعهم الآخرون حتى بقي المؤتمن وحيداً، واستوحش من ذلك، طالباً من أخيه المأمون الرجوع للقاهرة، والقيام بعمل خطة والتعذر بحجج لعدم انكشاف أمرهما، فوافق الخليفة على رجوعه^(٢٦). وأثر رجوعه للقاهرة، خطط الخليفة لاستدراجه هو وأخيه للايقاع بهما بعد إعطائهما الأمان، حتى تمكن من اعتقالهما وذلك عام ١١٢٥هـ/١١٢٥م^(٢٧).

وكان لابن السلار دور واضح في مساعدة الخليفة الحافظ لدين الله، في تأديب وزيره الأفضل رضوان بن الولخشي^(٢٨)، وتأليب الناس عليه بعدما أحس بخطره، وتحديه، وتطاوله عليه بأشياء كثيرة^(٢٩). وعندما شعر الخليفة الحافظ بأن التفاهم مع وزيره رضوان أصبح أمراً صعباً، وخاصة بعدما رأى انضمام العساكر إليه، أخذ يفكر بالخلاص منه، فبعث وراء صبي من الجند من صبيان الخاص^(٣٠) يدعى شومان وكلفه بالذهاب للأمير علي بن السلار^(٣١)، طالباً منه أن يدبر للوزير رضوان أمراً، وأعطاه المال اللازم لتنفيذ تلك المهمة^(٣٢). وهذا يثبت أنه رجل المهمات الصعبة

٢٥. ابن الطوير، نزهة، ص ١٣-١٤، المقرئزي، اتعاط، ج ٣، ص ١١٣.

٢٦. ابن الطوير، نزهة، ص ١٤، المقرئزي، اتعاط، ج ٣، ص ١١٤.

٢٧. ابن الطوير، نزهة، ص ١٤-١٦، ابن ميسر، المنتقى ص ١٠٣-١٠٤، المقرئزي، اتعاط، ج ٣، ص ١١٣-١١٥. وعن القبض على الوزير أبو عبد الله بن البطائحي الملقب بالمأمون وإخوته وصلبهم عام ١١٢٥هـ/١١٢٥م، انظر: ابن الأثير، الكامل، مج ١٠، ص ٦٢٩-٦٣٠. في حين ذكر عدد من المؤرخين أن مقتله وإخوته كانت في عام ١١٢٢هـ/١١٢٢م. وعن تفاصيل ذلك، انظر: ابن ظافر، أخبار الدول، ص ٢٤٠، ابن ميسر، المنتقى، ص ١٠٣، المقرئزي، اتعاط، ج ٣، ص ١٢٢.

٢٨. هو رضوان بن الولخشي، ولي قوص واخميم أول مولي، كان سنياً، حسن الاعتقاد، شجاعاً، شديد لباس، كان أيام الوزير بهرام النصراني والياً على الغربية فاستنجد به المصريون على بهرام لاستنقاده النصراني، حتى تمكن في النهاية من أخذ الوزارة من بهرام، ولقب بالأفضل. انظر: ابن ميسر، المنتقى، ص ١٢٤، ١٣٨.

٢٩. يعود الخلاف بينهما لمحاولة الوزير رضوان التطاول على الخليفة، وذلك منذ عام ١١٣٨هـ/١١٣٨م حيث سعى الوشاة للتفريق بينهما، فتحوف كل منهما من الآخر، فقام الوزير بقتل عدد من خواص الخليفة ففرب الخليفة وزيره السابق بهرام الأرمي نكايه به واسكنه بقصره، وبقي الوزير رضوان يتحدى الخليفة مجاهرة في الأعياد بلباسه وغيره، حتى غضب الحافظ منه، وتجراً أخيراً عليه بكلام غير لائق. انظر: ابن ميسر، المنتقى، ص ١٣٠-١٣٣، المقرئزي، اتعاط، ج ٣، ص ١٦٨-١٦٩. ولمزيد من التفاصيل عن أسباب خلافهما انظر: سيد، الدولة الفاطمية ص ٢٦٨.

٣٠. يعود أصل نشأة هذه الطائفة أنه كلما مات أحداً من الأمراء والأجناد وعبيد الدولة، وله ولد، فإنه يحمل إلى حضرة الخلافة، ويودع في أماكن مخصوصة وقيل مفردة، ويؤخذ في تعليمه أنواع الفروسية من الرمي وغيره، وبلغ عددهم زمن الخليفة الظاهر بأمر الله خمسمائة رجل. ابن الطوير، نزهة، ص ٦٣، ١٧٣، ١٧٤، ابن ميسر، المنتقى، ص ١٤٣، النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ/١٣٣١م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج ٣٢، تحقيق نجيب فواز وحكمت فواز، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ٢٠٠٤، ج ٢٨، ص ٢٠٤، سيشار له لاحقاً، النويري، نهاية، المقرئزي، اتعاط، ج ٣، ص ١٩٨-١٩٩.

٣١. وصف المقرئزي ابن السلار في تلك المرحلة بالاشارة إليه أنه كان أحد أمراء الدولة المعروفين، وكانت معرفة الخليفة به أنه صاحب عقل وحزم ويقظة وصرامة ولهذا أوكل له هذه المهمة. انظر: المقرئزي، اتعاط، ج ٣، ص ١٦٩.

٣٢. المقرئزي، اتعاط، ج ٣، ص ١٦٩. وعن تشجيع الخليفة، لجنوده للثورة على وزيره. انظر: ابن ميسر، المنتقى، ص ١٣٠-١٣١.

وتنفيذ المؤامرات مقابل المال في الدولة الفاطمية آنذاك.

والظاهر أن ابن السُّلار وضع خطة محكمة للتشويش على الوزير رضوان، وإثارة الشغب ضده، وتمثل ذلك باستعانته بجماعة صبيان الخاص، طالباً منهم الاجتماع، ثم الدخول من باب زويلة^(٣٣) كردوساً^(٣٤) واحداً وهم يصيحون "يا للحافضية" "الحافظ يا منصور"، فاجتمعوا في الثالث عشر من شعبان من عام ٥٣٣هـ/١١٣٨م بظاهر القاهرة نحواً من عشرين شخصاً، وأقبلوا من باب زويلة وهم يهتفون بما طلب منهم ابن السُّلار، ثم تزايد عددهم شيئاً فشيئاً حتى بلغوا خمسمائة، وانضم إليهم العسكر والفرسان والرجالة، حتى أن النساء أخذن يصحن من الطاقات "يا للحافضية"، فخرج إليهم الوزير رضوان وبدأ بمقاومتهم، لكنه لم يتمكن منهم، فعمت الفوضى حتى دخلوا دار الوزارة ونهبوها، فما كان منه ومن معه إلا الهرب للشام، فأقام فيها فترة ثم عاد لمصر لأمر دبره لاسترجاع مكانته، إلا أن خطته هذه لم تتجح، حيث غدر به بعض الأتراك الذين انضموا إليه، حتى وقع في الاعتقال بقصر الحافظ لدين الله عام ٥٣٤هـ/١١٣٩م^(٣٥).

إن ما خطط له ابن السُّلار، من تعبئة وحشود، واستخدام صبيان الخاص، لدليل واضح على نفوذه وأهميته وحكمته، وعلو شأنه في الدولة، لقدرته على تنفيذ مثل هذه المهام، ولعل في اختياره تحديداً من قبل الخليفة لمثل هذه المهمة لدليل آخر على تميزه والثقة به وربما مغامرته وأنه كان مغامراً، وهناك من جعل لمهمته هذه أثراً مهماً في تطور الدولة الفاطمية من خلال مشاركة صبيان الخاص في المهام السياسية، وعدم اقتصار مهامهم على ملازمة الخليفة وحراسته فقط^(٣٦).

٣٣. باب زويلة: أحد أبواب القاهرة، الفلقشندي، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ط ١، شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج ١، ص ٤٢٥، سيشار له لاحقاً، الفلقشندي، صبح.

٣٤. كردوس: فرقة راكبة من الجيش، العمارة، محمد، المعجم العسكري المملوكي، ط ١، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٠م، ص ٢٥٥، سيشار له لاحقاً، العمارة، المعجم.

٣٥. لمزيد من التفاصيل عن حادثة الشغب على الوزير رضوان، وخروجه للشام وتحديداً لصرخد عند واليها أمين الدولة كمشتكين الأتابكي، واستجاده بالأتراك، ثم عودته لمصر، ومعه ما يزيد عن ألف فارس، ثم حبسه في قصر الخليفة لغاية عام ٥٤٣هـ/١١٤٨م ثم قتله. انظر: ابن القلانسي، ذيل، ص ٢٧٠-٢٧٣، ابن ظافر، أخبار الدول، ص ٢٤٦، ابن الأثير، الكامل، مج ١١، ص ٤٨-٤٩، ابن ميسر، المنتقى، ص ١٣٢، الداواري، أبو بكر بن عبد الله بن أبيك (ت بعد ٧٣٦هـ/١٣٣٥م)، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق صلاح الدين المنجد، القاهرة، المعهد الألماني للآثار، ١٩٦١، ج ٦، المسمى "الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية"، ص ٥٢، سيشار له لاحقاً، الداواري، كنز الدرر، المقريري، اتعاض، ج ٣، ص ١٦٩-١٧٠.

٣٦. العمارة، الجيش الفاطمي، ص ١٥٤.

- وزارة ابن سلار، وصراعه مع ابن مصال

افتتح الخليفة الظاهر بأمر الله^(٣٧) خلافته بتعيين الأمير أبي الفتح بن مصال^(٣٨) اللكي^(٣٩) المغربي^(٤٠) وزيراً بوصية من والده الخليفة الحافظ لدين الله، ونعته بالسيد الأجل الأفضل أمير الجيوش سعد الملك ليث الدولة^(٤١) وخلع عليه خلع الوزارة، بعد أن كان من أكابر الأمراء في الدولة^(٤٢)، فمكث بالوزارة مدة قصيرة، تراوحت بين الشهرين^(٤٣) والأربعين يوماً^(٤٤)، وقيل خمسين يوماً^(٤٥)، ورغم الخلاف في عدد أيام وزارته، إلا أنه شهد له خلالها بحسن إدارته للدولة، وضبطها، لقول ابن القلانسي فيه: "وولي الوزارة أمير الجيوش أبو الفتح بن مصال المغربي، فأحسن السيرة، وأجمل السياسات، واستقامت لتدبيره الأعمال، وصلحت الأحوال، ثم حدث بعد ذلك من اضطراب الأمور والخلف المتكرر"^(٤٦).

وعندما علم الأمير ابن السُّلار بتقلد ابن مصال لمنصب الوزارة، وكان آنذاك والياً على البحيرة

٣٧. الظاهر بأمر الله أبو المنصور إسماعيل بن الحافظ لدين الله عبد المجيد، بويح بالخلافة بوصية من أبيه يوم موته عام ٥٤٤هـ/١١٤٩م، كان أصغر أولاده سناً، وكان عمره عند بيعته سبعة عشر عاماً، كان مفرطاً في الحسن، كانت أيامه مضطربة لحدائث سنة واشتغاله باللهو واللعب، انتهت خلافته بمقتله عام ٥٤٩هـ/١١٥٤م، وكانت خلافته أربع سنين وثمانية أشهر، وقيل سبعة أشهر وخمسة وعشرين يوماً. انظر: ابن ظافر، أخبار الدول، ص ٢٤٩-٢٥٤، ابن ميسر، المنتقى، ص ١٤١-١٤٩، الداوادي، كنز الدرر، ج ٦، ص ٥٥٧، ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٠ ج، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة، ج ٥، ص ٢٨٨-٢٩٥، سيشار له لاحقاً، ابن تغري، النجوم. انظر أيضاً: عيسى محمد الوخيان، ولاية العهد في العصر الفاطمي، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، إشراف فالح حسين، ٢٠١١م، ص ٢٣٦-٢٣٧، سيشار لها لاحقاً، الوخيان، ولاية العهد.

٣٨. هو الوزير نجم الدين سليم بن محمد بن مصال، من أهل لك، بلدة عند برقة من أعمالها، كان هو وأبوه يتعاطيان البيزرة والبيطرة، وبذلك تقدما، كان شهماً، مقداماً، وصار من أكابر الدولة الفاطمية، استوزره الظاهر بأمر الله في أول ولايته، كان شيخاً كبيراً لكنه كان عالماً بأصول الدين، شجاعاً متواضعاً، قتل في ذي القعدة عام ٥٤٤هـ/١١٤٩م، انظر: ابن منقذ، الاعتبار، ص ٣٠، ابن الطوير، نزهة، ص ٥٥، ابن خلكان، وفيات، ج ٢، ص ١٩٨، الصفي، الوافي، ج ١٢، ص ٢٣٠.

٣٩. ابن ظافر، أخبار الدول، ص ٢٤٩، ابن الطوير، نزهة، ص ٥٥.

٤٠. ابن القلانسي، ذيل، ص ٣٠٨، ابن تغري، النجوم، ج ٥، ص ٢٩٥.

٤١. ابن الطوير، نزهة، ص ٥٥، الوخيان، ولاية العهد، ص ٢٣٦.

٤٢. ابن خلكان، وفيات، ج ٢، ص ١٩٨. لم يكن ابن مصال طارئاً على الوزارة بل كان الخليفة الحافظ لدين الله قد أقامه ناظراً في الأمور دون أن يطلق عليه لقب وزير إذ لم يستوزر أحداً بعد اعتقال وزيره رضوان، فكان ناظراً في المصالح ومدبراً للمملكة. الداوادي، كنز الدرر، ج ٦، ص ٥٢١-٥٤٠. وقد كلفه الحافظ لدين الله بمهام كثيرة فقد أرسله لرد الوزير رضوان والقبض عليه بعد خروجه. انظر: ابن الأثير، الكامل، مج ١١، ص ٤٨.

٤٣. ابن الطوير، نزهة، ص ٥٥، ابن تغري، النجوم، ج ٥، ص ٢٩٥.

٤٤. ابن ظافر، أخبار الدول، ص ٢٤٩، ابن خلكان، وفيات، ج ٢، ص ١٩٨.

٤٥. ابن الأثير، الكامل، مج ١١، ص ١٤٢، أبو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن علي صاحب حماة (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م)، المختصر في أخبار البشر، ٤ ج، تحقيق محمد زينهم ويحيى حسين، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٩، ج ٣، ص ٣١، سيشار له لاحقاً، أبو الفداء، المختصر.

٤٦. ابن القلانسي، ذيل، ص ٣٠٨.

والإسكندرية لم يرق له هذا الكلام، ولم يرض به؛ اعتقاداً منه أنه أولى من رجلٍ مغربي غريب عن مصر^(٤٧)، فخرج من الإسكندرية إلى الغربية بعد أن اتصل بربيبه وابن زوجته الأمير عباس الصنهاجي^(٤٨)، الذي كان والياً عليها، ودعا لمؤازرته ضد ابن مصال، وقصد القاهرة، وعندما علم الوزير ابن مصال بمقصدهما أخبر الخليفة بذلك، فبعث الخليفة برسالة لأمرائه يدعوهم فيها لمساندة ابن مصال ضد ابن السُّلار بقوله لهم: "هذا نجم الدين وزيري ونائبه، فمن كان يطيعني فليطعه، ويمتثل أمره، فقال الأمراء: نحن مماليك مولانا سامعون مطيعون"^(٤٩)، ثم أحضرهم الخليفة للإيوان بحضور ابن مصال الذي تكلم متسائلاً عن شرعية موقف ابن سلار وأحقية من عدمه، واصفاً إياه بالمتعدي على السلطة لقوله: "لا شك في علمكم بما عوّل عليه ابن السُّلار وعباس، وأنا مملوك مولانا ومملوك الله من قبله، ولما رضي بخدمتي هذا الخليفة الحاضر ما كان والله بمقدمة مني ولا طلب، فما تقولون في هذا؟"، وكل ذلك بمسمع من الخليفة ورضا منه^(٥٠)، وقد بدا من كلامه أنه استنصر بالخليفة ومن حوله من الأمراء مبرراً موقفه بأنه لم يأخذ الوزارة، غصباً، كما أنه لم يصدر عنه أي أمر يبيح لابن السُّلار الاعتداء أو الخروج عليه. ويظهر أن ابن مصال أراد أيضاً من عرض واقع المشهد السياسي المتأزم أمام الخليفة الفاطمي وأمراءه ربما لخوفه من عدم تأييدهم له خاصة الأقوياء منهم ووقوفه إلى جانب ابن السُّلار ضده، لأنهم حجرية وأتراكا، فأراد بذلك كشف ما يضمرون له، مبرزا لهم ولائه للخليفة وأنه جاء برضى منه طالبا دعمهم ومؤازرتهم لا خوفهم وتصديهم له.

وقد بينت الأحداث تأزم الموقف داخل مجلس الخليفة بشكل واضح حيال قدوم ابن السُّلار والتصدي له، خاصة بعد كلام أحد الأمراء بحديث أغضب الخليفة^(٥١) والوزير ابن مصال، وبعض الأمراء فقد تكلم الأمير دري الحرون^(٥٢)، بكلام عبر فيه عن تقديرهم لقوة ابن سلار وتعاونهم معه بل وإعجابهم به، بقوله: "مولانا صلوات الله عليه يعلم، وأنت تعلم أن ما في الجماعة من يضرب في وجه ابن السُّلار بسيف أولهم أنا، فإن كان مولانا يقتل جميع أمرائه وأجناده فالأمر لله وله"^(٥٣)، في

٤٧. ابن الطوير، نزهة، ص ٥٦، ٥٩، المقرزي، اتعاظ، ج ٣، ص ١٩٦.

٤٨. هو أبو الفضل عباس بن أبي الفتح بن يحيى بن تميم الصنهاجي، قدم لمصر من أفريقية (تونس)، بعد أن أخرج جده أباه أبا الفتح، عام ٥٠٩هـ/١١١٤م، فسار إليها ومعه زوجته والدة عباس واسمها بلاره وكان عباس صغيراً يرضع، فنزلوا الإسكندرية وأقاموا فيها، وبعد وفاة والدته، تزوجت بلاره من العادل بن السُّلار فأحببه، وترى عنده، وأحسن تربيته، كان ذكياً وقام عباس في الدولة، وصار ذا عدد وعُدد ولما كبر عباسا ولاه الغربية ولقبه ركن الإسلام. ابن ظافر، أخبار الدول، ص ٢٥٠، انظر: ابن الطوير، نزهة، ص ٥٨-٥٩، ابن الأثير، الكامل، مج ١١، ص ١٤٢، ابن خلكان، وفيات، ج ٢، ص ١٩٩.

٤٩. ابن منقذ، الاعتبار، ص ٣٠، المقرزي، اتعاظ، ج ٣، ص ٩٦.

٥٠. ابن الطوير، نزهة، ص ٥٦.

٥١. ابن الطوير، نزهة، ص ٥٦.

٥٢. كان هذا الأمير من رفقاء ابن السُّلار، وأحد أشرار القوم. انظر: ابن الطوير، نزهة، ص ٥٥، المقرزي، اتعاظ، ج ٣، ص ١٩٦.

٥٣. ابن الطوير، نزهة، ص ٥٦، المقرزي، اتعاظ، ج ٣، ص ١٩٦.

حين ذكر ابن منقذ^(٥٤) أن الأمير قال: "يا أمراء، نترك علي بن السُّلار يقتل؟ قالوا: لا والله قال: فقوموا، فنفروا كلهم وخرجوا من القصر، وقد شدوا على خيلهم وبغالهم وخرجوا إلى معونة سيف الدين ابن السُّلار"^(٥٥).

وفي هذه النصوص معنيين الأول: إقرار واضح من الجميع بقوة ابن السُّلار والخوف من مواجهته وكثرة أعوانه، كما هو مؤشر على ضعف الخليفة عن التصدي له بدليل دعمه ومساعدته لابن مصال عندما عجز عن دفعه بنفسه، بإعطائه مالاً، ودعوته للخروج لحشد المؤيديين للقتال لجانبه، وتفريق المال بينهم لدفعهم ابن السُّلار^(٥٦)، وفي رواية أخرى ترك له حرية الاختيار بأن يعمل ما يراه مناسباً لمصلحته، بعد أن قدم له المال اللازم لذلك^(٥٧). أما المعنى الثاني فيتمثل برواية ابن منقذ التي تحمل معنى واضح يتلخص بشعور الأمراء أنهم الأقوى منه، وأنهم نصره خشية قتله، ومعظمهم من الأمراء الأتراك، وهم حزب تركي في الجيش الفاطمي، وقد تكون لديهم مطامع لإيصال أحدهم للوزارة.

كان ابن السُّلار مصمماً على تحقيق هدفه بمنازعة ابن مصال بالوزارة، والاستحواذ عليها بالقوة، فأحكم اختيار توقيت مخططه، مستغلاً ظرف ابن مصال بخروجه خارج القاهرة لمقاتلة الكثير من السودان والمفسدين المجتمعين في البهتساوية^(٥٨)، وذلك في الرابع من شعبان من عام ٥٤٤هـ/١١٤٩م^(٥٩). في حين لم يستطع ابن مصال حين سماعه بقدوم ابن سلال ودخوله القاهرة من مقابلته، ومقاتلته لضعف طاقته، وعدم قدرته على مواجهته، فقرر الخروج للصعيد ثم الجيزة لجمع

٥٤. اسامه بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ، الأمير الكبير مجد الدين، مؤيد الدولة، أبو المظفر الشيزري، الأديب، رئيس الشعراء الأعلام، ولد بشيزر، سمع الحديث، سافر لمصر وأقام بها سنين، ثم عاد لدمشق وتوفي بها عام ٥٨٤هـ/١١٨٨م. انظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، مج ١٢، ص ٢٢٤-٢٢٨.

٥٥. ابن منقذ، الاعتبار، ص ٣٠-٣١. في حين ذكر المقرئ أن الأمراء خرجوا فور سماعهم كلام الأمير الحرور، وشدوا على خيولهم، وساروا يريدون ابن السُّلار. انظر: المقرئ، اتعاض، ج ٣، ص ١٩٦.

٥٦. ابن منقذ، الاعتبار، ص ٣١، المقرئ، الاعتبار، ج ٣، ص ١٩٧.

٥٧. ابن الطوير، نزهة، ص ٥٦، المقرئ، اتعاض، ج ٣، ص ١٩٧.

٥٨. البهتساوية: هي من القرى القديمة، جاء عند ياقوت أن البهتسا مدينة بمصر من الصعيد الأدنى غربي النيل. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، ٤ مج، قدم لها محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، ط ١، بيروت، ٢٠٠٨م، ج ٢، ص ٤٠٦، سيشار له لاحقاً، ياقوت، معجم. ذكرت قديماً أنها من كور مصر، وذكرها ابن حوقل أنها من مدن الصعيد، لم ترد كوحدة مالية ذات زمام في قوانين ابن مماتي، إنما وردت في قوانين الدواوين فذكرها البهتسا هي مدينة الأعمال البهتساوية، ووردت عام ١٢٣٦هـ باسم البهتسا الغربية، وفي عهد محمد علي باشا صدر أمراً بتسمية البهتساوية باسم مأمورية الأقاليم الوسطى، وجعلت مدينة المنيا قاعدة لهذه المأمورية، وبذلك اختفى اسم البهتساوية من الأقسام الإدارية بمصر، وأصبحت البهتسا قرية من قرى مصر، مركز بني مزار، وردت تحت باب مديرية المنيا، مركز بني مزار. انظر: محمد رمزي، القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥، ق ٢، ج ٣، مديريات الجيزة وبني سويف والفيوم والمنيا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ١٩٩٤، ص ٢١١-٢١٢، سيشار له لاحقاً رمزي، القاموس الجغرافي.

٥٩. ابن الأثير، الكامل، مج ١١، ص ١٤٢، ابن ميسر، المنقذ، ص ١٤٢، الداوداري، كنز الدرر، ج ٦، ص ٥٥٣، المقرئ، اتعاض، ج ٣، ص ١٩٦.

المؤيدين^(٦٠)، وإثر تقدم ابن السُّلار للقاهرة^(٦١)، وقف أمام القصر مراجعاً ومفاوضاً ودخل شارحاً حاله للخليفة بواسطة رسله، ومن يدبرون أمور القصر من نساء وغيرهم، حتى فتح له الخليفة القصر^(٦٢) وخلع عليه بالوزارة، ونعته بالسيد الأجل أمير الجيوش، ولقبه بالعدل^(٦٣). ولكن ذلك لم يكن عن طيب خاطر منه، بل كان مضطراً ومجبوراً على توليته الوزارة بعد دخوله القاهرة محارباً لابن مصال ومحاصراً لقصر الخليفة^(٦٤).

تمكن ابن مصال بعد خروجه للصعيد والجزيرة من جمع كثير من السودان والعربان ولواتة وغيرهم، وانضم إليه الأمير بدر بن رافع مقدم العربان، فسار بهم، في حين ندب ابن السُّلار للقائه ربيبه الأمير عباس الصنهاجي في عسكر، ونزلوا في بركة الحبش^(٦٥)، وقدم ابن مصال أمامه الأمير الماجد صهره في عسكر، فقام جيش ابن مصال بداية بمهاجمة عسكر عباس على حين غفلة، فقتل الكثير منهم، وانهمز منهم جماعة^(٦٦)، تاركين الأمير عباساً، ولكن عباساً عاود ثانيةً بعد قدوم النجدات إليه بمقاتلة عساكر ابن مصال، فتمكن منهم حتى لم يفلت منهم أحد إلا القليل لقول ابن منقذ: "فلم يفلت منهم إلا من سبحت به فرسه في النيل"^(٦٧). ثم أخذ الأمير الماجد وضربت عنقه^(٦٨) ثم سار ابن مصال لبلاد الصعيد بجميع الأجناد والعربان^(٦٩).

٦٠. ابن الطوير، نزهة، ص ٥٦.

٦١. اختلفت الروايات في دخول ابن السُّلار للقاهرة، فابن ميسر يجعلها في السابع من شعبان من عام ١١٤٩/٥٤٤م في حين أن كل من ابن خلكان والصفدي والمقريزي يجعلوها في الخامس عشر من شعبان. انظر: ابن ميسر، المنتقى، ص ١٤٢، ابن خلكان، وفيات، ج ٢، ص ١٩٨، الصفدي، الوافي، ح ١٢، ص ٢٣، المقريزي، اتعاط، ج ٣، ص ١٩٧، Wiet: Al-Adil B. Al-Salar, v. 1, p. 198.

٦٢. ابن ميسر، المنتقى، ص ١٤٢.

٦٣. ابن الطوير، نزهة، ص ٥٦، ابن ميسر، المنتقى، ص ١٤٢، المقريزي، اتعاط، ج ٣، ص ١٩٧، Wiet: Al-Adil B. Al-Salar, v. 1, p. 198.

٦٤. ابن الطوير، نزهة، ص ٥٦. يقول ابن تغري بردي: "ودخل ابن سلار القاهرة وزيراً، فما طابت به نفس الخليفة الظافر بالله، ولم يصف بين الخليفة والوزير عيش قط وجرت بينهما أمور وثبت عند ابن السُّلار كراهة الخليفة له". ابن تغري، النجوم، ج ٥، ص ٢٩٥، انظر: أيضاً سيد، الدولة الفاطمية، ص ٢٧٥، Wiet: Al-Adil B. Al-Salar, v. 1, p. 198.

٦٥. بركة الحبش: وردت في قوانين الدواوين من ضواحي القاهرة، وعرفت هذه البركة بأسماء كثيرة، لكنها اشتهرت بهذا الاسم، ولم تكن بركة عميقة فيها ماء راكد بالمعنى المفهوم، وإنما تطلق على الأراضي الزراعية التي يغمرها ماء النيل وقت فيضانه بواسطة خليج بني وائل الذي كان يأخذ ماءه من النيل جنوبي مصر القديمة، وسميت بهذا الاسم لأنه كان بجوارها من الجهة الجنوبية جنان تعرف بالحبش فنسبت إليها البركة، وقيل إن هذه الجنان عرفت بالحبش لأنها كانت لطائفة من الرهبان الحبش. انظر: رمزي، القاموس الجغرافي، ق ١، البلاد المندرسة، ص ١٥٠-١٥١.

٦٦. ابن منقذ، الاعتبار، ص ٣١، كما ذكر ابن ميسر أن عباساً عاد للقاهرة بعد هزيمته من الأمير الماجد، انظر: ابن ميسر، المنتقى، ص ١٤٢، النويري، نهاية، ج ٢٨، ص ٢٠٤.

٦٧. وعن الإعداد لهذا الهجوم واستشارة ابن السُّلار للأمير أسامة بن منقذ لكيفية مقاومتهم بعد هزيمته الأولى، انظر: ابن منقذ، الاعتبار، ص ٣١، المقريزي، اتعاط، ج ٣، ص ١٩٧.

٦٨. لم يشتر ابن ميسر لقتل الأمير الماجد بل أشار لذهابه للصعيد لجمع العربان والأجناد مع ابن مصال. ابن ميسر، المنتقى، ص ١٤٢. في حين أكد ابن منقذ قتله وهو شاهد عيان. ابن منقذ، الاعتبار، ص ٣١.

٦٩. ابن ميسر، المنتقى، ص ١٤٢، النويري، نهاية، ج ٢٨، ص ٢٠٤، المقريزي، اتعاط، ج ٣، ص ١٩٧.

يبدو أن الجولة الثانية كانت هي الأكثر حسماً بالنسبة لابن سَلار، حيث انتهت بمقتل ابن مصال، فقد بدأ ابن السُّلار بتحضير عساكره لملاقاة ابن مصال بعد أن توجه للصعيد لجمع العساكر، فجهَّز عباساً بجيش كثيف، وبادر بالتقدم، والخروج إليه خوفاً من اجتماع الناس عليه وزيادة جمعه، فلحق عباس بالوزير ابن مصال لمنطقة دلاص^(٧٠)، وكان برفقته طلائع بن رزيك^(٧١) الذي كان مقدماً عنده، ووقعت بينهما وقعة أفضت عن قتل ابن مصال^(٧٢)، وبدر بن رافع مقدم العريان، وذلك في التاسع عشر من شوال، فعاد على أثرها عباس ومن معه برأس ابن مصال، وطاقوا به بالقاهرة ومصر، في ذي العقدة من عام ١١٤٩هـ/١١٤٩م، وخلص على ابن السُّلار في اليوم نفسه^(٧٣).

وهكذا نجح ابن السُّلار بحكمته وشجاعته، وقوة عساكره من قتل ابن مصال، وأخذ الوزارة منه، والاستفراد بالحكم^(٧٤) دون الخليفة الظاهر بأمر الله، لحدثة سنه وضعفه، وانشغاله باللهو والغناء والجواري، إذ كان بعيداً عن إدارة الدولة والرعية^(٧٥)، وهذا يعني أنه كان للخليفة الدور الأكبر فيما آلت إليه أمور البلاد من زيادة المنازعات فيها وغيرها إذ لم يكن قادراً على التحكم بزمام الأمور، فكان الطامحون يتنازعون على السلطة دون أن يفعل شيئاً^(٧٦)، مما جعل أيامه مليئة بالاضطرابات السياسية، وهذا ما شجع ابن السُّلار على منازعة ابن مصال، ويضاف إليها أسباباً أخرى مرتبطة بقوة ابن السُّلار وطموحه السياسي.

- صفاته:

وصف ابن السُّلار بصفات حميدة متعددة: فكان شهماً شجاعاً مقداماً، محباً ومائلاً لأهل العلم والفضل والصلاح^(٧٧)، وتمتع برجاحة في العقل، والهيبه، والحزم، وترك المخالطات^(٧٨)، فغُرف عنه

٧٠. هي كورة بصعيد مصر على غربي النيل، أخذت من البر، تشتمل على قرى وولاية واسعة، ودلاص مدينتها معدودة في كورة البهتسا. انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٣٠٤.

٧١. أبو الغارات طلائع بن رزيك الأرمني، كان أميراً وقت هذه الحادثة الذي أصبح فيما بعد وزيراً للخليفة الفاطمي العاضد قتل عام ١١٦١هـ/١١٦١م، كان كريماً، أديباً، وله شعر، وكان إمامياً. انظر: ابن الأثير، الكامل، مج ١١، ص ٢٧٥-٢٧٦.

٧٢. ذكر ابن منقذ أنه قتل من السودان وغيرهم من عسكر ابن مصال سبعة عشر ألف رجل. انظر: ابن منقذ، الاعتبار، ص ٣١.

٧٣. ابن منقذ، الاعتبار، ص ٦٩، ابن ميسر، المنتقى، ص ١٤٢، النويري، نهاية، ج ٢٨، ص ٢٠٤، المقرئ، انعاظ، ج ٣، ص ١٩٣-١٩٨. ولمزيد من التفاصيل أيضاً عن ابن مصال وحشوده من المغاربة وغيرهم، ولقاء عسكر ابن السُّلار بدلاص. انظر: ابن خلكان، وفيات، ج ٢، ص ١٩٨، الصفي، الوافي، ج ١٢، ص ٢٣، الذهبي، تاريخ، مج ١١، ص ٤٩١-٤٩٢، Wiet: Al-Adil B. Al-Salar, v. 1, p. 198.

٧٤. يقول ابن منقذ: "وحملوا رأس ابن مصال إلى القاهرة، ولم يبق لسيف الدين من يعانده ولا يشاققه". ابن منقذ، الاعتبار، ص ٣١.

٧٥. ابن ظافر، أخبار الدول، ص ٢٤٩-٢٥٠، ابن الطوير، نزهة، ص ٦٢، ابن تغري، النجوم، ج ٥، ص ٢٨٨.

٧٦. محمد محمود خليل، الاغتيالات السياسية في مصر في عصر الدولة الفاطمية، ٣٥٨-٣٥٩هـ/٩٦٩-١١٧٢م، مكتبة مديولي، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٦/٢٠٠٧م، ص ٢٠٠-٢٠١، سيشار له لاحقاً، خليل، الاغتيالات السياسية.

٧٧. ابن الطوير، نزهة، ص ٥٨، ابن خلكان، وفيات، ج ٢، ص ١٩٨، الذهبي، تاريخ الإسلام، مج ١١، ص ٤٩٢، الصفي، الوافي، مج ١٧، ص ٩٨.

ابتعاده عن اللهو والخلاعة^(٧٩)، مما كان سبباً في خشونته، والتزامه وصرامته في عمله، حتى قال المقرئزي فيه عند اختياره لتنفيذ إحدى المهام: "وكان علي بن السُّلار عاقلاً صاحب حزم ويقظة وحسن تأن مع قوة وصرامة"^(٨٠)، وذهب ابن الطوير لأكثر من ذلك حينما وصفه بأنه "شديد البأس قوي الرأس"^(٨١)، وجاء ذلك تعقيباً على إصراره على هزيمة ابن مصال بعد تمكنه من الأمير عباس في الجولة الأولى من المعركة. وتكمن أهمية هذه الصفات وخاصة العقل، والشجاعة، والحزم، أنها متى اجتمعت في شخص ذي طموح سياسي، كانت سبباً في تميزه وتقدمه، وعلو شأنه، كما جرى لابن السُّلار منذ كان صبياً في الحُجْر، وقد جاءت هذه الصفات متلائمة مع طبيعة عمله في الدولة في فترة حرجة وعصيبة حيث ضعف الخلفاء والتنافس والتنازع على الوزارة، وجاءت هذه الصفات مناسبة لتوظيفها في المهام العسكرية والسرية التي أسندت إليه، فأسهمت بشكل كبير في ترقيته من صبي في الحُجْر إلى الإمارة ثم الوزارة.

وعلى الرغم من اجتماع هذه الصفات وتركزها في شخصية الوزير علي بن السُّلار، والتي تتم عن شخصية قيادية، جعلته موضع احترام الجميع وإعجابهم وميلهم نحوه حتى العامة منهم، لقول ابن الطوير: "وتقلبت به الأحوال حتى ولى البحيرة والإسكندرية، وصال على أقرانه وبذخ بأمواله ومال إلى مذهب أهل السنة وتقرب إليهم بذلك فمال إليه جمهور الناس"^(٨٢)، ومع ذلك فقد التصقت به صفات أخرى تعكس ما كانت عليه شخصية رجل الدولة المتعطر في أحكامه وسياسته لدرجة ظلم بعض الناس على ذنوب صغيرة اقتترفوها، لإثبات شدته وقدرته ورهيبته للغير، حيث وصف أنه ذو سيرة جائرة وسطوة قاطعة حيث ميله للظلم، حتى قيل عنه إنه كان جباراً، ظالماً يؤاخذ الناس بالصغائر والمحقرات^(٨٣)، ذا غلظة في كلامه مع الناس^(٨٤)، لدرجة أن الناس سرروا بموته كفاية من جبروته وجوره^(٨٥)، حتى ذهب ابن كثير لأبعد من ذلك بأن نفى عنه سمة العدل التي لقب بها، حيث عُرف بالعدل بقوله: "وقد كان العادل هذا ضد اسمه، كان ظلوماً غشوماً، حطوماً"^(٨٦)، كما وصف ابن الطوير مبالغته بالظلم بقوله: "كان سيف الدين علي بن السُّلار...عظيماً في نفسه وكبره، شديد الظلم والعسف والجرأة على سفك الدماء"^(٨٧).

قد يرى البعض أن هناك تناقضاً واضحاً في صفات ابن السُّلار، إلا أنني لا أعتقد أن هذا

٧٨. ابن الطوير، نزهة، ص ٥٩، ابن خلكان، وفيات، ج ٢، ص ١٩٨.
٧٩. ابن الطوير، نزهة ص ٥٨.
٨٠. المقرئزي، اتعاط، ج ٣، ص ١٦٩.
٨١. ابن الطوير، نزهة، ص ٥٦.
٨٢. ابن الطوير، نزهة، ص ٥٨.
٨٣. ابن ظافر، أخبار الدول، ص ٢٥١، ابن خلكان، وفيات، ج ٢، ص ١٩٨، الذهبي، تاريخ الإسلام، مج ١١، ص ٤٩٢.
٨٤. النويري، نهاية، ج ٢٨، ص ٢٠٥.
٨٥. ابن ظافر، أخبار الدول، ص ٢٥١.
٨٦. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٢، ص ١٦٩.
٨٧. ابن الطوير، نزهة، ص ٥٩.

التناقض في صفاته الشخصية وخاصة السلبية منها مرتبط بخصومه السياسيين، وتناقلها المؤرخون المعاصرون له، ومن جاء بعدهم من غير تحميص وتدقيق في حقيقتها، لكنها ربما مرتبطة بواقع الحال، وطبيعة الظرف السياسي وما يتطلبه آنذاك، وبحقيقة التصرفات والأخطاء التي ارتكبها والتي قد تكون أدت للحكم عليه بالغلط والظلم وغيرها من الأحكام وذلك نتيجة حتمية لما قام به من تنفيذ لتلك الأحكام المجحفة بعض الشيء أو أخطاء لا تتم عن حكمة في الإدارة والسياسة كالقتل لسبب بسيط أو عقاب قاس. بحيث حسبت عليه أنها للظلم أقرب منها للعدل والتشدد في تطبيقها فوصفوه بتلك الصفات.

وقد بين المؤرخون^(٨٨) أن ما قام به ابن السُّلار من معاقبة ناظر دواوين مصر^(٨٩) الموفق التنيسي^(٩٠) بعد اعتلائه الوزارة -لذنب قديم وبسيط ارتكبه معه الموفق حينما كان ابن السُّلار صبياً من صبيان الحَجَر^(٩١) وقيل إن هذه الحادثة عندما كان في آحاد الأجناد وأستبعد ذلك، فإما أن تكون عندما كان صبياً بالحجر أو أميراً للإسكندرية^(٩٢) مراجعاً له^(٩٣) في مسائل للدولة، فكانت سبباً في التصاق صفة الظلم به. ومن المرجح أن المسألة تلك متعلقة باستحقاقات مالية لابن السُّلار أو متعلقة برواتب له أو إقطاع مقابل خدمته، لأنه لا يعقل أن صبياً من صبيان الحجر يناقش ناظر الدواوين في مسائل الدولة.

ويحكي في أصل قصة ابن السُّلار وقتله للموفق أن ابن السُّلار دخل يوماً على القاضي الموفق، فشكا إليه ابن السُّلار حاله من غرامة لزمته بسبب تفریطه في شيء من لوازم الولاية الغربية، فلما أطال عليه الكلام قال له الموفق: "والله بأن كلامك ما يدخل في أدني"^(٩٤) فحقد عليه، فلما ترقى

٨٨. ابن ظافر، أخبار الدول، ص ٢٥١، ابن ميسر، المنتقى، ص ١٤٣، ابن خلكان، وفيات، ج ٢، ص ١٩٨، الذهبي، تاريخ

الإسلام، مج ١١، ص ٤٩٢، النويري، نهاية، ج ٢٨، ص ٢٠٥، المقرئ، اتعاظ، ج ٣، ص ١٩٩.

٨٩. قال ابن الطوير في تعريفه لديوان النظر: "أما دواوين الأموال فإن أجلها من يتولى النظر عليهم حيث يرأس دواوين الأموال وله العدل والولاية"، وهو الذي يعرض في أوقات معروفة الأوراق على الخليفة أو الوزير، وله الاعتقال بكل مكان يتعلق بنواب الدولة، وهو ينتدب المترسلين لطلب الحساب والحث على طلب الأموال. انظر: ابن الطوير، نزهة، ص ٧٩-٨٠، سيد، تاريخ الدولة الفاطمية، ص ٣٥٠.

٩٠. هو القاضي أبو الكرم محمد بن معصوم التنيسي الملقب بالموفق، كان ناظراً للدواوين بمصر مع الأموال والخزائن، أعيد للنظر بالدواوين والخزائن في جمادى الأولى من عام ١١٤٥/هـ ١١٤٥، قتله ابن السُّلار عام ١١٤٩/هـ ١١٤٩م. انظر: ابن ميسر، المنتقى، ص ١٣٦، المقرئ، المقفى، ج ٦، ص ٣٦٠.

٩١. ابن ميسر، المنتقى، ص ١٤٣، المقرئ، اتعاظ، ج ٣، ص ١٩٩.

٩٢. ابن خلكان، وفيات، ج ٢، ص ١٩٨.

٩٣. قيل أن ابن السُّلار حينما كان في صبيان الحَجَر كان يتكرر دُخوله للموفق في رسائل ويكلمه بكلام غليظ، فكرهه الموفق، ثم اتفق يوماً أن كُتِب لابن سُلار منشوراً بإقطاع وطلب منه ان يثبتته، فدخل إلى الموفق فتعاقل عنه وأهمل أمره، فقال له ابن السُّلار: ما تسمع، فقال له الموفق: كلامك ما يدخل في أدني أصلاً، فأخذ ابن السُّلار منشوره وخرج محنوقاً، وضرب الدهر ضربانه حتى صار ملكاً. انظر: ابن ميسر، المنتقى، ص ١٤٣، النويري، نهاية، ج ٢٨، ص ٢٠٥، المقرئ، المقفى، ج ٢، ص ٣٦٠.

٩٤. قيل أن ابن السُّلار دخل على التنيسي ليحاqqه على استحقاق له، فانشغل عنه أبو الكرم ثم عاود ابن السُّلار القول دفعه بعد أخرى، فقال له أبو الكرم: يا أمير العوام، يقولون، كلامك يدخل من هاهنا، ويخرج من هاهنا، وأشار إلى أدنيه، فتركه

للوزارة طلبه، فخاف منه، واستتر منه، فنادى عليه في البلدة، حتى أهدر دم من يخفيه، فأخرجه الذي خبأه بزي امرأة حتى عُرف، فأخذه العادل، ثم أمر بإحضار لوح خشبي ومسمار طويل، وأمر به فألقي على جنبه، وطرح اللوح تحت أذنه، ثم ضرب المسمار في أذنه الأخرى، وصار كلما صرخ يقول له: "دخل كلامي في أذنك بعد أم لا؟ ولم يزل بذلك حتى نفذ المسمار من الأذن التي على اللوح، ثم عطف المسمار، وقيل إنه شنقه بعدها^(٩٥) وقيل إنه بعد بلوغه الوزارة دخل عليه الموفق وسلم عليه، فقال له ابن السُّلار: ما أظن كلامي يدخل في أذنك، فتلجج بين يديه، وقال له: عفوَ السلطان، فقال له ابن السُّلار: قد استعملت العفو من حيث خروجي من عندك ما أتيتك به، وأشار لبعض خدمه بمسمار من حديد عظيم الخلقة، وقال: هذا أعددت لك في ذلك الوقت، ثم أمر به فضرب المسمار في أذنه حتى نفذت من الأخرى، ثم علق رأسه على الخشبة ميتاً، وقيل حمل إلى باب زويلة الأوسط، ودق خشبة، وعلق عليها ميتاً^(٩٦).

ان ما قام به ابن السُّلار بحق القاضي الموفق غير مقبول أخلاقياً لبشاعته، وعدم موازاة العقوبة بالذنب، ومع هذا فليس له سوى تفسير واحد، وهو تعمه على معاقبة الناس، بقصد تأديبهم وإخافتهم ليكونوا عبرة لغيرهم، وقد يكون لفعله تفسير آخر متعلق بمكانة الموفق عند ابن مصال أثناء وزارته ذلك أنه حينما تولى ابن مصال الوزارة في بداية عهد الظافر بأمر الله، صار الموفق التتيسي من ذوي الرأي والمشورة عنده^(٩٧). فلما عزل ابن مصال عن الوزارة، واستقر العادل بالسلطة، استغل ذلك، وانتقم منه لآزدرائه له في بداية خدمته، ولقربه من ابن مصال كذلك منافسه في الوزارة.

لم تكن حادثة الموفق وقتله وحدها هي السبب لوصف ابن السُّلار بالظلم، بل هناك مواقف أخرى منها: أن رجلاً كان على باب الحُجْر، وكان له جماعة يعاملونه، فاتفق أن طلب منه ابن السُّلار، أن يعامله في شيء يسير، فامتنع منه قائلاً له: "بلغني أنك غريم غير مرضى" فكتمها في نفسه، فلما تولى الوزارة، استدعاه، وقال له: تذكر احتقارك لي واستهزاءك بالأمراء وأجلاء الناس؟ فأخذ الرجل في الاعتذار والتصل فأمر بضرب رقبته^(٩٨). وهناك حوادث مماثلة لمبالغته في العقوبة منها ضربه لعنق شاب لضبطه يزور تواقع^(٩٩). ووصل الأمر بالوزير العادل بمعاقبة البطيريك يوحنا الخامس والزج به بالسجن في عام ١١٥٢/٥٥٤٧م لرفضه عزل المطران القبطي في الحبشة بناء على التماس تقدم به ملكها إلى الوزير، مما أغضبه، فسجنه ولم يخرج إلا بعد وفاة ابن السُّلار^(١٠٠).

ابن السُّلار وانصرف وكتمها له. انظر: ابن ظافر، أخبار الدول، ص ٢٥١.
 ٩٥. انظر الرواية عند: ابن خلكان، وفيات، ج ٢، ص ١٩٨-١٩٩، الذهبي، تاريخ الإسلام، مج ١١، ص ٤٩٢، الصفدي، الوافي، ج ١٧، ص ٩٨، المقرئ، المقفى، ج ٦، ص ٣٦٠.
 ٩٦. ابن ميسر، المنقنى، ص ١٤٣، النويري، نهاية، ج ٢٨، ص ٢٠٥، المقرئ، المقفى، ج ٦، ص ٣٦٠، المقرئ، اتعاض، ج ٣، ص ١٩٩-٢٠٠.
 ٩٧. المقرئ، اتعاض، ص ١٩٣.
 ٩٨. ابن ظافر، أخبار الدول، ص ٢٥١.
 ٩٩. انظر التفاصيل عند: ابن منقذ، الاعتبار، ص ٣٣.
 ١٠٠. عبد العزيز جمال الدين، تاريخ مصر من بداية القرن الأول الميلادي حتى نهاية القرن العشرين من خلال مخطوطة

- إنجازاته وإصلاحاته

مكث الوزير العادل علي بن السُّلار في وزارته ثلاث سنين ونصف السنة تقريباً^(١٠١). وكانت الغلبة والقوة سمة عامة لفترة حكمة بعد تغلبه على الوزارة من ابن مصال بالسيف عام ١١٤٩/هـ حتى اعتبر من ضمن الوزراء الأقوياء، وهذا ما عبر عنه ابن الأثير من خلال وصفه لتلك الفترة من حكم وزراء مصر بقوله: "وكانت الوزارة في مصر لمن غلب، والخلفاء من وراء الحجاب، والوزراء كالمتملكين، وقل إن وليها أحد بعد الأفضل إلا بحرب، وقتل وما شاكل ذلك"^(١٠٢). وقد سعى ابن السُّلار منذ توليته الوزارة إلى بسط نفوذه وسلطته على معارضيه وعلى رعيته، حتى نجح في ذلك لقول ابن القلانسي عنه: "وورد الخبر من ناحية مصر أن العادل المعروف بابن السُّلار الذي كانت رتبته قد علت، ومنزلته في الوزارة قد تمكنت، ونفذ أمره في البسط والقبض، وحكمه في الإبرام والنقض"^(١٠٣) وأكد ذلك أبو الفداء بقوله: "فاستقر العادل في الوزارة وتمكن، ولم يكن للخليفة الظاهر معه حكم، وبقي كذلك إلى سنة ثمان وأربعين"^(١٠٤)، فكان أول ما استفتح دولته بالقبض على صبيان الخاص وقتلهم، وذلك بعدما بلغه عنهم أنهم يودون قتله في داره، فبادر بالهجوم عليهم، وقتل أكثرهم، وبعث من بقي منهم فركزهم في الثغور، وذلك في رمضان من عام ١١٤٩/هـ وكان جمعهم كثيراً^(١٠٥). ويبدو أن هدفه من ذلك إبعادهم عن مركز السلطة السياسية وصناعة القرار، بنفيهم للثغور والأطراف حيث حماية الحدود وملاقة الأعداء، وهذا إجراء حكيم بدليل نتائجه الإيجابية على سلطته. ولم يقتصر أمر العادل على قتل صبيان الخاص ونفيهم والخلاص منهم فقط، بل امتد ليشمل أصنافاً أخرى من الأجناد حتى استقام له الأمر، وتمكن من أعمال البلاد^(١٠٦).

وقد أشار ابن منقذ، وهو شاهد عيان على تلك الفتنة، أن ما قام به ابن السُّلار من قتله لصبيان الخاص لم يكن من تدبيره بداية، بل كان الخليفة الظاهر بأمر الله هو من خطط، ودبر لقتله عن

تاريخ البطارقة لساويرس بن المقفع، ١٠ ج، مطبوعات الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٢، ج ٦، ص ٤٠٣-٤٠٤، سيشار له لاحقاً، جمال الدين، تاريخ البطارقة.

١٠١. ابن ميسر، المنتقى، ص ١٤٦-١٤٧، النويري، نهاية، ج ٢٨، ص ٢٠٦.

١٠٢. ابن الأثير، الكامل، مج ١١، ص ١٨٥.

١٠٣. ابن القلانسي، ذيل، ص ٣١٩.

١٠٤. أبو الفداء، المختصر، ج ٣، ص ٣١.

١٠٥. ابن ميسر، المنتقى، ص ١٤٣. وذكر النويري أنه بعد أن قتل العادل أكثر صبيان الخاص جعل من بقي منهم في المراكز بالثغور. انظر: النويري، نهاية، ج ٢٨، ص ٢٠٤. وورد اسم من بقي في المراكز بالثغور باسم آخر وهو المركزية الكنانية، حيث ذكر المقرئزي أنه كان يخرج عسكر في كل سنة أشهر من القاهرة لعسقلان لأجل الفرنج تقوية لمن بها من المراكز الكنانية. انظر: المقرئزي، اتعاظ، ج ٣، ص ٩٠. وهذه المركزية طائفة من طوائف الجيش وهي فرقة ثابتة مقيمة في الثغور. انظر: العمارة، الجيش الفاطمي، ص ١٨٣-١٨٤.

١٠٦. ذكر ابن القلانسي أن العادل قتل من الحُجَريّة والريحانية، وأصناف الأجناد حتى استقام له الأمر. انظر: ابن القلانسي، ذيل، ص ٣٢٠. أما ابن منقذ فقد ذكر أنه قتل في هذه الفتنة (أي حادثه ومحاوله قتل ابن السُّلار) جماعة من المصريين والسودان. ابن منقذ، الاعتبار، ص ٣٣.

طريق أولئك الصبيان بعد أخذ ابن السُّلار الوزارة من ابن مصال بالقوة، إذ خطط لهم أن يقوموا بالهجوم على داره وقتله، فاجتمع أولئك الصبيان في دار قريبة من داره ينتظرون توسط الليل، وافتراق أصحابه من عنده، وكان ابن منقذ أحد أولئك الذين يسمرّون عنده في تلك الليلة، وبعد تناولهم العشاء جاء الخبر للعادل عن طريق جواسيسه بما يخططون، فتحرز منهم، وبعث غلمانه للهجوم عليهم في الدار المجتمعين بها، فداهموهم ولكنهم تمكنوا من الهرب، وحدث في الليلة نفسها أن جاء عدد منهم يطلبون اللجوء والاحتماء بابن منقذ، ومن بعدها أمر العادل بقتل من بقي منهم^(١٠٧).

وقد حرص العادل بن السُّلار منذ توليه الوزارة على أن يكون متيقظاً متحوطاً من خصومة السياسيين، وخاصة الخليفة، محاولاً بذلك الانفراد عنه بالحكم، وعزله إن أمكن، إذ لم تكن مسألة استحواذه على الوزارة بالقوة من ابن مصال دون رضا الخليفة ومباركته لتعبر هكذا دون أن تترك أثراً كالضغائن والدسائس، بل ولدت كره الخليفة له^(١٠٨)، حتى استوحش العادل منه، وأخذ بالتحرز منه، فانتدب رجالاً لحراسته يمشون في ركابه بالزرد والخوذ، وصل عددهم ستمئة رجل، وجعلهم على نوبتين بزمامين في كل يوم^(١٠٩). ويظهر أن السبب الذي دعاه للقيام بهذا الأمر حماية نفسه من محاولات الظافر بأمر الله المنكررة، للتأمر عليه واغتياله^(١١٠).

ولم يكتف العادل بن السُّلار بإحاطة نفسه بالحرس، بل أظهر سياسة عدائية نحو الخليفة بعزله عن مجلسه للنظر في كل الأمور دون علمه، موهما الناس أن الخليفة قد خبأ له قوماً يغتالونه في القصر، فقام بنقل جلوس الظافر من القاعة التي يدخل إليها من الدهاليز المظلمة إلى الإيوان في البراح والسعة، فكان إذا دخل يدخل معه أولئك الذين انتدبهم كلهم، فيجلس الخليفة في الشباك بالإيوان، ويجلس هو من خارجه، ومع هذه الاحتياطات والعداوة فقد كان يببالغ في إظهار الطاعة والخدمة، ولا يخلو بها في قول ولا فعل^(١١١). وهذا يدل على حكمة ودهاء وسياسة بهدف الإبقاء على الصبغة الشرعية للخلافة الفاطمية في مصر.

وهكذا نجحت سياسة ابن السُّلار بتصفية خصومه السياسيين، ومن يدعمهم حتى انفق الجند على طاعته فأحسن إليهم^(١١٢)، بعد دخول القاهرة، كما حاول استمالة ذوي المكانة والجاه، كأسامه بن منقذ حيث أسكنه في داره وأكرمه^(١١٣)، وأفاد من آرائه وخبرته في التعامل مع ابن مصال فاستدعاه ليلاً شاكياً إليه ضعف جنود مصر، وانشغالهم عن الأمير عباس، طالباً رأيه ومشورته في التصدي لابن مصال ومن معه من قبيلة لواتة إثر هزيمتهم للأمير عباس، فنصح بالسير إليهم في وقت السحر،

١٠٧. ابن منقذ، الاعتبار، ص ٣٢، 198، v. 1، Al-Adil B. Al-Salar. Wiet.

١٠٨. يقول ابن منقذ: "وخلع عليه الظافر خلع الوزارة ونعته الملك العادل، وتولى الأمور، كل ذلك والظافر منحرف عنه، كاره له، مضمر له الشر، فعمل على قتله". ابن منقذ، الاعتبار، ص ٣١-٣٢.

١٠٩. ابن الطوير، نزهة، ص ٥٩، المقرئ، اتعاض، ج ٣، ص ١٩٨.

١١٠. سيد، الدولة الفاطمية، ص ٢٧٥.

١١١. ابن الطوير، نزهة، ص ٥٩، المقرئ، اتعاض، ج ٣، ص ١٩٨.

١١٢. ابن منقذ، الاعتبار، ص ٣١.

١١٣. ابن منقذ، الاعتبار، ص ٣١، ابن ظافر، أخبار الدول، ص ٢٥٠.

وقد تم له ذلك^(١١٤). فكان للخلاص من ابن مصال أثره الواضح في تقوية نفوذه. وعلى الرغم من قصر المدة الزمنية التي قضاها ابن السُّلار بوزارته إلا أن سياسته كانت إصلاحية في عمومها لشمولها مجالات الدولة كافة ومنها: إصلاح الجيش والعسكر، وهي تعد من أهم مؤسسات الدولة فكان إصلاحها على رأس أولوياته منذ وصوله الوزارة، إذ لم يكن أمر ترتيبها وتنظيمها بالأمر اليسير، فكان لزاماً له أن يضمن ولاء جميع عساكره له بعد مقتل ابن مصال، وهذا ما يمكن أن يطلق عليه بعملية التطهير والإصلاح الشامل لمؤسسة الجيش، وهذا ما انتهجه ابن السُّلار، وقد عبر ابن القلانسي عن تلك السياسة بقوله: "وسعى في صلاح وترتيب الأجناد وإطلاق واجباتهم، وهدت النائرة وسكنت الفترة الثائرة"^(١١٥). وهذا يعني أنه عمل على إعادة هيكلة مؤسسة الجيش بالنقل والترقية وغيرها، فزاد من صلاحيات بعضهم لثقتهم فيهم وبجهودهم وشد من عزيمتهم، وأغدق عليهم، ولم ينس خزائن الأسلحة كذلك من المتابعة والتزود وغيرها لقول ابن الطوير: "كان العادل بن السُّلار منذ استقر في الوزارة أخذ ينظر في أمر الأجناد المعروفين بالنهضة والعزم، وزاد في أرزاقهم، وتفقد خزائن السلاح، وحفظ النواميس"^(١١٦).

ولم يرغب عن بال ابن السُّلار ونظره أن يقوم بالترشيد في نفقات الدولة، ومنها نفقة الكسوات^(١١٧)، بهدف توجيه تلك النفقات في جهات أخرى أكثر أهمية: كتجهيز العساكر والأساطيل الحربية لمقاومة الفرنج في عسقلان وغيرها، فقام بقطع جميع الكسوات عن الناس [الأمراء] والدواوين وغيرها وذلك عام ١١٥٦هـ/١١٥١م^(١١٨). وقد أبرز النويري تلك السياسة ونجاعتها بالوفر على الدولة بقوله: "قطعت جميع الكساوى المرتبة للأمراء والدواوين عن أربابها، وتوفرت"^(١١٩). ويرى العمائري في كتابه الجيش الفاطمي أن منح الكسوات والخلع كان مظهراً مهماً من مظاهر الدولة الفاطمية ورسومها. وأنها استمرت حتى أواخر العصر الفاطمي حتى قطعت عام ١١٥٦هـ/١١٥١م على يد ابن السُّلار، راداً سبب القطع بأنه عائد لتناقص موارد الدولة الفاطمية في أواخر عهدها من جهة، وحاجتها للأموال في مواجهة الأخطار الخارجية، وفي مقدمتها الخطر الصليبي من جهة أخرى فكان السبب الرئيسي لذلك الإجراء. ويؤكد ذلك الإجراء بأنه لم يسمع في حوادث السنوات التالية لذلك العام في مصادر

١١٤. انظر: ابن منقذ، الاعتبار، ص ٣١.

١١٥. ابن القلانسي، ذيل، ص ٣١١.

١١٦. ابن الطوير، نزهة، ص ٥٩، انظر أيضاً: المقرئ، اتعاض، ج ٣، ص ١٩٨.

١١٧. تعد الكسوات من المخصصات العينية التي تمنح لأفراد الجيش في الدولة وعادة ما تكون على شكل أنعام من الخليفة أو على شكل خلع أو تشاريف لكبار الأمراء، وقد تكون للخليفة أو الوزير والأساتذة المحنكون وللکسوات خزانة خاصة أو دار تسمى خزانة الكسوات أو دار الكسوة، فيها جميع أنواع الثياب، والبز، والعمائم، والسيوف المحلاة وغيرها، والكسوات توزع في مناسبات متعددة: كسوة الشتاء والصيف، وهناك كسوات توزع في العيدين، وفي عيد النحر، عيد الغدير وغيره. لمزيد من التفاصيل: انظر: ابن الطوير، نزهة، ص ١٢٨-١٣٠، المقرئ، الخطط، ج ٢، ص ٢٩٢-٢٩٩، ص ٤٣٦-٤٤٧، العمائري، الجيش الفاطمي، ص ٢٥٦-٢٦٢.

١١٨. ابن ميسر، المنتقى، ص ١٤٥، المقرئ، اتعاض، ج ٣، ص ٢٠٢.

١١٩. النويري، نهاية، ج ٢٨، ص ٢٠٥.

تلك الفترة ما يدل على صرف الكسوات في المناسبات الهامة^(١٢٠).
ومن الإنجازات المهمة التي انتهجها العادل بن السُّلار أثناء وزارته^(١٢١)، وما قبلها منذ كان أميراً^(١٢٢) شده من أزر أهل السنة وتقوية مذهبهم، فقد كان ظاهر التسنن شافعي المذهب. وتمثل ذلك واضحاً بتأسيسه مدرسة للشافعية في الإسكندرية^(١٢٣)، من باب تقوية المذهب السني، ومقاومة الفكر الشيعي الإسماعيلي، وذلك أثناء ولايته فيها^(١٢٤) وقيل أثناء وزارته^(١٢٥).
هذا وقد التصق ذكر هذه المدرسة باسم بانيتها العادل ابن السُّلار، فعرفت بالعدالية نسبة له^(١٢٦)، وبالسلفية^(١٢٧) في أحيان أخرى نسبة للحافظ السلفي^(١٢٨)، الذي فوضت إليه عملية التدريس فيها بعد نزوله الإسكندرية، والاحتفال به، وإكرامه من قبل الأمير العادل علي بن السُّلار والي الإسكندرية آنذاك، الذي بنى له تلك المدرسة لتدريس المذهب الشافعي السني فيها^(١٢٩)، كما ذكر أنه كان لميل

١٢٠. العمارة، الجيش الفاطمي، ص ٢٦٢.
١٢١. يقول ابن الطوير: "ولما وصل الأمير سيف الدين أبو الحسن علي بن السُّلار إلى القاهرة... وخلق عليه للوزارة... وشد من مذهب أهل السنة". ابن الطوير، نزهة، ص ٥٩.
١٢٢. يؤكد النص الذي يذكره ابن الطوير أهتمامه بالسنة أثناء الأمانة لقوله: "وتقلبت به الأحوال حتى ولي البحيرة والإسكندرية، وصال على أقرانه... ومال إلى مذهب أهل السنة وتقرب إليهم...". ابن الطوير، نزهة، ص ٥٨، انظر أيضاً: السبكي، تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي (ت ١٣٦٩هـ/١٧٧١م)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود الطناجي، وعبد الفتاح الحلو، ٨ مج، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط١، القاهرة، ١٩٦٤، ج ٦، ص ٣٧، سيشار له لاحقاً، السبكي، طبقات.
١٢٣. لم تكن هذه المدرسة هي الوحيدة بالإسكندرية بل سبقها مدرسة أخرى هي المدرسة العوفية، والتي أنشأها الوزير رضوان بن الولخشى عام ٥٣٢هـ/١١٣٧م للفقير المالكي أبا طاهر إسماعيل بن عوف للتدريس. وذلك في عهد الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله، وهي أول مدرسة رسمية بمصر، وصدر سجل رسمي بأنشائها. انظر: ابن ميسر، المنتقى، ص ١٣٠، النويري، نهاية، ج ٢٨، ص ١٩٨، خالد بن عبدالرحمن القاضي، الحياة العلمية في مصر الفاطمية، الدار العربية للموسوعات، ط١، بيروت، ٢٠٠٨، ص ١٤٩-١٥٠، سيشار له لاحقاً، القاضي، الحياة العلمية في مصر الفاطمية، جمال الدين الشيبان، أعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط١، مصر، ٢٠٠٤، ص ١٢١-١٢٧، سيشار له لاحقاً، الشيبان، أعلام الإسكندرية، سيد، الدولة الفاطمية، ص ٢٦٦-٢٦٧.
١٢٤. أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي دمشقي (ت ٦٦٥هـ/١٢٦٦م)، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج ٤، طبع حواشيه وعلق عليه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ٢٠٠٢م، ج ١، ص ٢٧٨، سيشار له لاحقاً، أبو شامة، الروضتين، الذهبي، تاريخ الإسلام، مج ١١، ص ٤٩٢، ابن خلكان، ج ٢، ص ١٩٨، الصفدي، الوافي، ج ١٧، ص ٩٩، الشيبان، أعلام الإسكندرية، ص ١٣٧، السبكي، طبقات، ج ٦، ص ٣٧.
١٢٥. المقريري، اتعاض، ج ٣، ص ١٩٨.
١٢٦. ابن ظافر، أخبار الدول، ص ٢٥٢، الصفدي، الوافي، ج ١٧، ص ٩٩.
١٢٧. الشيبان، أعلام الإسكندرية، ص ١٣٧، القاضي، الحياة العلمية في مصر الفاطمية، ص ٢٢٥.
١٢٨. هو الحافظ أبو الطاهر أحمد بن محمد بن إبراهيم بن سلفة الاصبهاني، وسلفه لقب أحمد وإليه ينسب. عمل معجماً لشيوخه الأصبهانيين، وله معجم السفر المشتمل على ألفي شيخ، رحل في طلب الحديث، وطاف البلدان، واستوطن الإسكندرية، وتزوج بها عام ٥١١هـ/١١١٧م، حتى وفاته، كان إماماً، محدثاً، حافظاً وفقياً، توفي عام ٥٧٦هـ/١١٨٠م. انظر: ابن خلكان، وفيات، ج ١، ص ٦٠-٦١، الذهبي، تاريخ الإسلام، مج ١٢، ص ٨١-٨٧.
١٢٩. ابن ظافر، أخبار الدول، ص ٢٥٢، ابن خلكان، وفيات، ج ٢، ص ١٩٨، الصفدي، الوافي، ج ١٧، ص ٩٩.

العادل لأهل العلم والصلاح دور كبير في إكرام السلفي وبناء هذه المدرسة^(١٣٠).
تكمن أهمية هذه المدرسة في أنها الوحيدة التي تمثل المذهب الشافعي^(١٣١)، فكان لها مساهماتها الواضحة في تعليم الفكر السني، ونشره في مصر في تلك الفترة، خاصة أنها تخصصت بالحديث والفقهاء الشافعي، فكان لإنشائها دور كبير في تنامي المذهب الشافعي في الإسكندرية، وأسهمت في تهيئة أهل الإسكندرية وغيرها من مدن العالم الإسلامي لمقاومة الغزو الفرنجي، حتى عدَّ الإمام السلفي من كبار قادة إحياء الفكر التعبوي الجهادي بالإسكندرية، لحنه أبناء الأمة على الجهاد بالآيات والأحاديث تارة، أو بمن تتلمذ على يديه من علماء الأمة وقادتها في تلك الفترة تارة أخرى، حتى أن صلاح الدين الأيوبي زاره في عام ٥٧٢هـ/١١٧٦م في مدرسته لأخذ الأحاديث على يديه، إذ كان أوحد زمانه في علمه، وكان مقصداً للناس من أصقاع الأرض الواسعة^(١٣٢). وقد ظهرت آثار هذه المدرسة عند مقاومة أهل الإسكندرية للوزير شاور والفرنج أثناء حصارهم لمدينتهم عام ٥٦٢هـ/١١٦٧م حيث تصدر عدد من خريجيها المقاومة آنذاك^(١٣٣).

وقد تباينت الآراء حول الأسباب التي شجعت ابن السُّلار على القيام بهذه الخطوة الجريئة ببنائه مدرسة سنية على غرار المدرسة الحافظية أو العوفية التي بناها الوزير رضوان بن الولخشي في تلك الظروف السياسية العصبية إزاء المذهب الشيعي، وغلبته على المذهب السني بمصر آنذاك، فذهب خليل أن ما قام به كان استهتاراً بالخلافة الفاطمية لما مرّت به الدعوة الإسماعيلية من انشقاقات داخلية، حتى اعتبر بناءها إهانة صريحة للدعوة الإسماعيلية لما أصيبت به من الشيخوخة^(١٣٤)، كما رأى أن بناءها حقق فوائد منها: أنها جاءت لتعيد للحياة الفكرية في عهد الظاهر بأمر الله بعض نشاطها وألقها بعد ما فقدته نتيجة المفاصد والمؤامرات التي حيكت في عهده، وفي الوقت الذي جاء تأسيس هذه المدرسة خروجاً عن رغبة الخليفة ورضاه، وهذا ما ذهب ببعضهم لجعل بنائها سبباً في دفع الخليفة لتأييد اغتيال ابن السُّلار^(١٣٥).

وعلى الرغم من الخلاف الذي بحثه أيمن سيد حول توقيت بناء ابن السُّلار لهذه المدرسة، أكانت أيام إمارته للإسكندرية أم وزارته، إذ يجعلها السبكي أثناء ولايته الإسكندرية، ويجعلها ابن خلكان عام

١٣٠. ابن خلكان، وفيات، ج ٢، ص ١٩٨، الذهبي، تاريخ، مج ١١، ص ٤٩٢.

١٣١. ابن خلكان، وفيات، ج ٢، ص ١٩٨، الصفدي، الوافي، ج ١٧، ص ٩٩.

١٣٢. ابن خلكان، وفيات، ج ١، ص ٦٠، الذهبي، تاريخ الإسلام، مج ١٢، ص ٨٤، المقرئ، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ٨، ص ١٠١، ق ١، تحقيق محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط ٢، القاهرة، ١٩٥٦، ص ٦٣، سيشار له لاحقاً المقرئ، السلوك. هادية دجاني شكيل، القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني العسقلاني، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط ٢، بيروت، ١٩٩٩، ص ٧٠، سيشار له لاحقاً، دجاني، القاضي الفاضل، الشبال، أعلام الإسكندرية، ص ١٣٧-١٥٤، القاضي، الحياة العلمية في مصر الفاطمية، ص ١٥٠-١٥١، ٢٥٩-٢٦٠.

١٣٣. المقرئ، الخطط، ج ١، ص ٣٢٣-٣٢٤.

١٣٤. خليل، الاغتيالات السياسية، ص ١٨٨.

١٣٥. المرجع نفسه، ص ٢٢٥.

١١٥٠/هـ ١١٥٤٦م أي في أيام وزارته، لكنه عاد ليؤكد أن ابن السُّلار بناها وهو ما زال والياً مسترشداً بقول السبكي^(١٣٦). ومع ذلك فإن هذا لا يقلل من شأن هذه المدرسة في تدعيم الفكر السني، ومصير الدولة الفاطمية وفكرها الشيعي الإسماعيلي.

ولم يقتصر اهتمام ابن السُّلار على المدارس، بل اهتم ببناء المساجد أيضاً، إذ عمر بالقاهرة مساجد كثيرة، منها المسجد منسوب إليه بظاهر بلبيس^(١٣٧).

لم تقتصر إصلاحات الوزير ابن السُّلار على الجيش والتعليم، بل امتدت لتشمل القضاء، فقد قام بعزل قاضي القضاة^(١٣٨) أبي الفضائل يونس المقدسي^(١٣٩) عام ١١٥٢/هـ ١١٥٤٧م على الرغم من نزاهته لقول المقرئ فيهِ: "وكان من الأعيان النزهن الكبيرين الهمم، العظيمين القدر..."^(١٤٠) وقرر بدلاً منه عبد المحسن بن محمد بن مكرم^(١٤١). ولا يوجد تفسير لمثل هذا الإجراء لما كان عليه أبو الفضائل من حسن السيرة، وعفة النفس، خاصة إذا افترضنا أن ابن السُّلار دخل الوزارة عام ١١٤٩/هـ ١١٤٤م ولم يقم بعزله إلا بعد ثلاث سنين لسبب ما أو دون سبب بعينه، فهو في النهاية قرار للوزير لا يشاركه فيه أحد.

واستمر ابن السُّلار في تغيير قاضي قضاة، حيث قام بصرف ابن مكرم، وعين بدلاً منه أبا النجم بدر بن ثمال بن نصر، وقيل بل عين أبا المعالي مجلي^(١٤٢) بن جميع بن نجا الأرسوفي الشافعي^(١٤٣) وهذا ما يؤكد ابن خلكان بأنه في عام ١١٥٢/هـ ١١٥٤٧م تولى القضاء بمصر أبو المعالي مجلي بتفويض من العادل، حتى عزله الوزير الصالح طلائع بن رزيق عام ١١٥٤/هـ ١١٥٤م^(١٤٤).

١٣٦. السبكي، طبقات، ج ٦، ص ٣٧، سيد، الدولة الفاطمية، ص ٢٦٧-٢٦٨.

١٣٧. ابن خلكان، وفيات، ج ٢، ص ١٩٨.

١٣٨. لقاضي القضاة النظر في الأحكام الشرعية، فلما صارت الوزارة إلى أرباب السيوف كان الوزير يقاد القضاة نيابة عنه، والقاضي أجل أرباب العمائم وأرباب الأقاليم رتبة، وتارة يكون داعي الدعاة، وتارة تفرد الدعوة عنه، ولا يخرج شي من الأمور الدينية عنه، وكان لقاضي القضاة النظر في دار الضرب لضبط ما يضرب من الدنانير، وداعي الدعاة يلي قاضي القضاة في الرتبة، ويتزيا بزيه في اللباس. انظر: ابن الطوير، نزهة، ص ١٠٧.

١٣٩. هو أبو الفضائل يونس بن محمد بن الحسن، تولى القضاء عام ١١٤٧/هـ ١١٤٣م بعد أن صرف عنه أبو الطاهر إسماعيل الأنصاري. انظر: ابن ظافر، أخبار الدول، ص ٢٤٩-٢٥٤، ابن ميسر، المنتقى، ص ١٣٩، ١٤٥.

١٤٠. المقرئ، اتعاظ، ج ٣، ص ٢٠٣.

١٤١. المقرئ، اتعاظ، ج ٣، ص ٢٠٣. لم يذكر ابن ظافر تولى عبد المحسن بن محمد بن مكرم للقضاء بعد أبي الفضائل بل أشار أن الذي حل محله هو أبو المعالي مجلي بن جميع بن نجا المخزومي فبقى حتى وفاته. انظر: ابن ظافر، أخبار الدول، ص ٢٥٤-٢٥٥.

١٤٢. ابن ميسر، المنتقى، ص ١٤٥، المقرئ، اتعاظ، ج ٣، ص ٢٠٣.

١٤٣. هو الفقيه مجلي بن جميع بن نجا القرشي المخزومي الأرسوفي الشافعي توفي عام ١١٥٥/هـ ١١٥٥م بمصر كان من أعيان الفقهاء الشافعية المشار إليهم، وله مصنوعات كثيرة في الفقه منها كتاب الذخيرة في الفقه. انظر: ابن ميسر، المنتقى،

ص ١٥٤، ابن خلكان، وفيات، ج ٢، ص ٣٠٨، المقرئ، اتعاظ، ج ٣، ص ٢٢٨.

١٤٤. ابن خلكان، وفيات، ج ٢، ص ٣٠٨، القاضي، الحياة العلمية في مصر، ص ٢٥٦.

- موقفه من الغزاة الفرنج

كان لاضطراب الأوضاع السياسية بمصر في أيام الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله، وما بعدها آثار سلبية بالغة، فقد أنعشت آمال الفرنج بالتوسع والسيطرة على ثغور المسلمين، وتمثل ذلك بلفت أنظارهم نحو غزة وعسقلان، فاهتموا بهما بأن شرعوا عام ١١٤٨/هـ-١١٤٣م بعمارة استحكامات غزة بهدف السيطرة على عسقلان، لأنها كانت معقلاً هاماً للفاطميين في مصر، كما كان لحاميتها دور كبير في شن الغارات على بلاد المسيحيين، واتخذ الفرنج من غزة قاعدة لتوجيه أعمالهم الحربية إلى عسقلان، وفي هذه الأثناء بدأ الوزير ابن السُّلار يحذر من تحركاتهم، ويفكر جدياً بعسقلان وبدورها في مقاومة الفرنج^(١٤٥).

بذل الوزير ابن السُّلار أثناء توليه الوزارة بمصر جهوداً عظيمة في دعم مسيرة الجهاد الإسلامي ضد الغزاة الفرنج، سواء بصد هجماتهم عن مصر أم بالاستمرار بتجريد العساكر لعسقلان وإبدالها^(١٤٦)، أو بإرسال الأساطيل والعساكر للشام، وسد الثغور في وجه الفرنج وتحصينها، كما فعل عام ١١٤٩/هـ-١١٤٤م بعسقلان إذ قام بتحسينها، وسد خللها، وإمدادها بالتموين والأسلحة والغلات؛ لتمكينها من الوقوف والصمود في وجه الفرنج بعد أن تناهى إليه قريهم على قصدها^(١٤٧). وقد كان الأسطول الذي جهزه لغزو الفرنج عام ١١٥١/هـ-١١٤٦م في السواحل الشامية شاهداً على جهوده تلك، وتمثل ذلك بعدته وعداده، وما أنفق عليه من مبالغ طائلة، وكذلك بالمعاقل والحصون الفرنجية التي وصلها لقول ابن القلانسي: "وفي هذه الأيام ورد الخبر بوصول الأسطول المصري إلى ثغور الساحل في غاية من القوة وكثرة العدة والعدة، وذكر أن عدة مراكبه سبعون مركباً حربية مشحنة بالرجال، ولم يخرج مثله في السنين الخالية، وقد أنفق عليه ما حكي، وقرب ثلاثمئة ألف دينار"^(١٤٨).

سار الأسطول المصري الذي جهزه ابن السُّلار للسواحل الشامية في ربيع الأول من عام ١١٥١/هـ-١١٥٦م حتى دخل يافا، وهناك أسروا عدة مراكب للفرنج، وأحرقوا ما عجزوا عن أخذه، وقتلوا خلقاً كثيراً من أهل يافا ثم قصدوا عكا، وفعلوا بها مثلما فعلوا بيافا، حتى احتجزوا كثيراً من مراكبهم البحرية، وظفروا بجماعة من حجاج الفرنج فقتلوهم، وغيرهم خلقاً كثيراً حتى أنهم أنفذوا ما استطاعوا لمصر، من مراكب وغير ذلك، ثم قصدوا صيدا، وبيروت وطرابلس، وأبلوا هناك بلاء حسناً، وفعلوا بها مثلما فعلوا بالمدن التي سبقتها^(١٤٩). ولم يكن تجهيز هذا الأسطول من قبل ابن

١٤٥. ستيفن رنسيان، تاريخ الحروب الصليبية، ٣ أجزاء، نقله للعربية السيد الباز العريني، ط٣، ١٩٩٣م، ج٢، ص٥٤٤-٥٤٥، سيشار له لاحقاً، رنسيان، تاريخ الحروب الصليبية.

١٤٦. كانت العادة جارية كل ستة شهور على تجريد العساكر المصرية لحفظ عسقلان من الفرنج، وتتم عملية المبادلة والمناوبة بين العسكر بالثغر في تلك المدة. انظر: ابن ظافر، أخبار الدول، ص٢٥٠، ابن ميسر، المنتقى، ص١٤٦، المقرئ، تعاض، ج٣، ص٢٠٤.

١٤٧. ابن الطوير، نزهة، ص٦٠، المقرئ، تعاض، ج٣، ص١٩٩.

١٤٨. ابن القلانسي، ذيل، ص٣١٥، ابن ميسر، المنتقى، ص١٤٥، Wiet: Al-Adil B. Al-Salar, v. 1, p. 198.

١٤٩. ابن القلانسي، ذيل، ص٣١٥، ابن ميسر، المنتقى، ص١٤٥، النويري، نهاية، ج٢٨، ص٢٠٥، Wiet: Al-Adil B. Al-Salar, v. 1, p. 198.

السُّلار وتهديده للفرنج إلا ردا عليهم، وثأرا منهم نتيجة إغارتهم على مدينة الفرما المصرية، وتخريبها وإحراقها ونهبها في رجب من عام ٥٤٥هـ/١١٥٠م^(١٥٠).

هذا وقد شهد الأمير أسامة بن منقذ أثناء إقامته في مصر على كثير من الأحداث السياسية المهمة^(١٥١)، كما ساهم مساهمة واضحة في تنسيق الجهود لدعم حركة الجهاد ضد الفرنج بالشام وعسقلان بين الملك العادل بن السُّلار بمصر والملك العادل نور الدين محمود بالشام، حيث طلب منه ابن السُّلار التوجه للملك نور الدين محمود بالشام، وحمله رسالة له يحثه فيها على التعاون معه بإشغال الفرنج من جهة طبريا واستغلال ذلك لتمكنه من مهاجمتهم من جهة عسقلان وغزة، حيث قال له ابن السُّلار: "تأخذ معك مالا وتمضي إليه لينازل طبريا، ويشغل الفرنج عنا لنخرج من هاهنا نخرّب غزة، وكان الإفرنج خذلهم الله قد شرعوا في عمارة غزة ليحاصروا عسقلان، قلت: يا مولاي فإن اعتذر أو كان له من الأشغال ما يعوقه، أي شي تأمرني؟ قال: إن نزل على طبرية، فأعطه المال الذي معك، وإن كان له مانع، فدون^(١٥٢) [دون] من قدرت عليه من الجند، واطلع إلى عسقلان..."^(١٥٣).

يتضح من هذه الرسالة أن خطة ابن السُّلار تمثلت بإشغال الفرنج الصليبيين على جبهتين جبهة طبريا، ويتولاها الملك نور الدين محمود، وجبهة غزة وعسقلان ويتولاها ابن السُّلار لتخريب سور غزة، كما حملت الرسالة دعوة من ابن السُّلار للملك نور الدين محمود لمد جسور التعاون معه ضد الفرنج، بحيث أنه إذ لم يكن بالإمكان تنفيذ الاقتراح الأول أو الخطة الأولى يلتفت للخطة الثانية بحيث يسمح له بتجنيد المتطوعة من أهل الشام لضمهم إليه للدفاع عن عسقلان^(١٥٤).

يفيد أسامة ابن منقذ في مروياته ومذكراته أن الملك نور الدين محمود لم يجب طلب ابن السُّلار بمنازلة طبريا^(١٥٥) شارحا له صعوبة دخوله بين دمشق والفرنج، ولكنه سمح له بتجنيد العساكر

١٥٠. ابن ميسر، المنتقى، ص ١٤٤، النويري، نهاية، ج ٢٨، ص ٢٠٥.

١٥١. قدم الأمير أسامة بن منقذ من دمشق عام ٥٣٩هـ/١١٤٤م وإخوته وأهله، فأكرمهم صاحب مصر الحافظ لدين الله، وأفاض عليهم العطايا وغيرها. انظر عن أقامته وكرامته من ابن السُّلار: ابن القلانسي، ذيل، ص ٢٧٧-٢٧٨، ابن ظافر، أخبار الدول، ص ٢٤٩-٢٥٠، المقرزي، اتعاظ، ج ٣، ص ١٧٩. هذا وقد قام ابن منقذ بمصر عشر سنوات (٥٣٩-٥٤٩هـ) (١١٤٤-١١٥٤م) حظي خلالها بالتبجيل والتقدير، وكان شاهدا على الأحداث الجسام التي شهدتها الساحة السياسية المصرية مثل: ثورة الجند السودان، قتل ابن السُّلار، الخليفة الظافر بأمر الله. أنظر: عبد الله الحارثي، رؤية أسامة بن منقذ لبعض طبائع الصليبيين وأخلاقهم كما ورد في كتاب الاعتبار، مؤتمر بلاد الشام في فترة الصراع الإسلامي الفرنجي، جامعة اليرموك، ٨-١٠ تشرين الثاني ١٩٩٩، مطبعة جامعة اليرموك، اريد، ٢٠٠٠م، ج ١، ص ٢٧٣. سيشار له لاحقا، الحارثي، رؤية أسامة.

١٥٢. دون: جعل أسماءهم في ديوان (سجل) الجند، البقلي، محمد قنديل، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٣م، ص ١٤٥، سيشار له لاحقا، البقلي، التعريف، العمارة، المعجم، ص ١٢٩-١٣٠.

١٥٣. أسامة بن منقذ، الاعتبار، ص ٣٣، Wiet: Al-Adil B. Al-Salar, v. 1, p. 198.

١٥٤. دجاني، القاضي الفاضل، ص ١٥.

١٥٥. حكم رنسيان على هذه السفارة لنور الدين محمود بالفشل. انظر: رنسيان، تاريخ الحروب الصليبية، ج ٢، ص ٤٤٥،

وإرسالهما لعسقلان^(١٥٦)، حتى نجح أسامة ابن منقذ في تجنيد ثمانمئة وستين فارساً، وأرسل معهم نور الدين محمود قوة عدادها ثلاثون فارساً ويقودهم أمير لتأكيده مساندة لمدينة عسقلان، وقد انضم ابن منقذ ومن معه فور وصولهم للمدافعين عن المدينة حيث أبلوا هناك بلاء حسناً^(١٥٧). وقد استمر ابن منقذ وعساكره في قتال الفرنج بعسقلان مدة أربعة شهور حتى جاء رسول من عند العادل بن السُّلار يطلبه الرجوع لمصر، تاركاً هناك من يربط على عسقلان لقتال الفرنج، فرجع^(١٥٨). ولا غربة لمثل هذا التنسيق السني-السني في سبيل دعم حركة الجهاد وتقويتها أمام تلك القوة الفرنجية التي تستغل ضعف الدولة الفاطمية الشيعية المذهب ومحاولة الانفراد بها.

وقد عالج عدد من المؤرخين والباحثين^(١٥٩) في كتاباتهم موضوع الأسطول المصري الذي سيره ابن السُّلار للشام، وما كان لابن السُّلار من رغبة واضحة في التعاون العسكري مع الملك نور الدين محمود ضد الفرنج، حتى كان لهذا المسير ولهذه الحملة أهمية سياسية بالغة، إذ شكلت بدايات جادة لتحالف مصري-شامي ضد الفرنج في السواحل الشامية، وتمثل ذلك بموقف الملك نور الدين محمود-عند سماعه خبر وصول الأسطول المصري-بعزمه على قصد الفرنج، وتقديمه وعودات^(١٦٠) لذلك لولا انشغاله بأمر دمشق، وفي رواية أخرى أنه همَّ بقصدهم في البر ليكون هو من البر وابن السُّلار من البحر، إلا أن أمر دمشق شكل معضلة في وجهه فعاقه عن ذلك^(١٦١). في حين علق سيد على هذه المحاولة الإيجابية للتعاون العسكري من قبل العادل بن السُّلار مع الملك نور الدين محمود بإرجاع الفضل فيها لابن السُّلار، وجعله أول من حاول عقد اتفاق مع الملك نور الدين محمود أمير حلب آنذاك لعمل جبهة موحدة في مواجهة الفرنج الصليبيين، ورأى أن ما قام به كان سابقة لأوانها، إذ كان الملك نور الدين محمود يتطلع للاستيلاء على دمشق التي حاصرها الفرنج قبل سنوات، ولو كان الملك نور الدين محمود متنبها لها لتمكنا من تطويق الفرنج في مدن الشام الساحلية. وما إرسال ابن السُّلار للأسطول المصري إلا إثباتاً لحسن نواياه وجديته في التعاون لمصلحة المسلمين^(١٦٢).

في حين رأى الحارثي أن نور الدين محمود رفض التعاون مع ابن السُّلار في هذا الجانب لأنه لا يأمن الدماشقة ولا الصليبيين. انظر: الحارثي، رؤية أسامة، ص ٢٧٣.

١٥٦. يقول أسامة بن منقذ عن لقائه بنور الدين محمود: "فوصلته ليلة الاثنين، وأصبحت تحدثت مع نور الدين بما جئت به. فقال لي: يا فلان، أهل دمشق أعداء، والإفرنج أعداء. ما آمن منهما إذا دخلت بينهما. قلت له: فتأذن لي أن أديون من محرومي الجند قوماً آخذهم وأرجع، قال: أفعل...". ابن منقذ، الاعتبار، ص ٣٧-٣٨.

١٥٧. ابن منقذ، الاعتبار، ص ٣٧-٣٩.

١٥٨. ابن منقذ، الاعتبار، ص ٣٩-٤١. انظر أيضاً: رنسيان، تاريخ الحروب الصليبية، ج ٢، ص ٤٠-٤١، الحارثي، رؤية أسامة، ص ٢٧٣.

١٥٩. ابن القلانسي، ذيل، ص ٣١٥، ابن ميسر، المنتقى، ص ١٤٥، المقرئ، اتعاط، ج ٣، ص ٢٠٢، سيد، الدولة الفاطمية، ص ٢٧٥-٢٧٦.

١٦٠. ابن القلانسي، ذيل، ص ٣١٥.

١٦١. ابن ميسر، المنتقى، ص ١٤٥، المقرئ، اتعاط، ج ٣، ص ٢٠٢، Wiet: Al-Adil B. Al-Salar, v. 1, p. 198.

١٦٢. سيد، الدولة الفاطمية، ص ٢٧٥-٢٧٦.

- المؤامرة على الوزير العادل ابن السُّلار وآثارها على الدولة الفاطمية

كان مقتل الوزير العادل بن السُّلار في شهر محرم من عام ١١٥٣/٥٤٨م إثر المؤامرة التي حيكّت ضده^(١٦٣)، وتعود تفاصيلها إثر تجريد الملك العادل ابن السُّلار للعساكر المصرية عام ١١٥٣/٥٤٨م لثغر عسقلان لحفظها من الفرنج، والتي أسندت رئاستها في هذا العام لربيبه الأمير عباس^(١٦٤) وبصحبه عددٌ من الأمراء، وعلى رأسهم أسامة بن منقذ^(١٦٥). وقد حمل ابن السُّلار للأمير عباس مسؤولية تلك المهمة قبل خروجه بقوله له: "هذا الثغر قد نازله الفرنج ولا غنية أن تتوجه بالعساكر إليه لتدفعهم عنه..."^(١٦٦).

بدأ التخطيط للمؤامرة ضد العادل بن السُّلار عند وصول العساكر المصرية لمدينة بلبليس^(١٦٧)، وهناك أخذ كلٌّ من الأمير أسامة بن منقذ، والأمير عباس يتذاكران طيب مصر والقاهرة وهواءها، وما هم خارجون إليه من المشقة والحرب، وملاقات العدو، فتأوه عباس على تركه لمصر والبعد عنها، وأخذ يذم العادل ويقبح فعله على ما اختاره إليه من لقاء العدو^(١٦٨). وعندها أشار عليه الأمير أسامة بن منقذ بحيله للخروج مما هو فيه للراحة والخلود^(١٦٩)، والاستقلال بالوزارة بأن قال له: "لو أردت كنت سلطان مصر، فقال كيف الحيلة، فقال: هذا ولدك^(١٧٠) بينه وبين الظافر مودة عظيمة^(١٧١) فخاطبه على لسان ولدك أن تكون السلطان موضع عمك، فإنه يختارك ويحبك ويكره عمك، فإن أصابك فاقتل عمك"^(١٧٢). وقد أظهر الأمير أسامة لعباس ترحيب الخليفة الظافر بأمر الله، وعدم ممانعته قتل العادل من قبل نصراً للأميرين، مؤانسته لنصر، وحبه له، وكرهته للعادل ابن السُّلار،

١٦٣. ابن القلانسي، ذيل، ص ٣٢٠، ابن الطوير، نزهة، ص ٦٤.

١٦٤. كانت القرعة أو البدل في هذه المرة على عباس الصنهاجي. ابن ميسر، المنتقى، ص ١٤٦، النويري، نهاية، ج ٢٨، ص ٢٠٥-٢٠٦. وقد كان العادل ابن السُّلار قد قدم عباسا ابن زوجته واعتمد عليه في الأعمال. انظر: ابن القلانسي، ذيل، ص ٣٢٠.

١٦٥. ابن ميسر، المنتقى، ص ١٤٦، المقرئزي، اتعاظ، ج ٣، ص ٢٠٤.

١٦٦. النويري، نهاية، ج ٢٨، ص ٢٠٦.

١٦٧. بلبليس: مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام. انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٧٧.

١٦٨. ابن الطوير، نزهة، ص ٦١، ابن ظافر، أخبار الدول، ص ٢٥٠، ابن ميسر، المنتقى، ص ١٤٦، النويري، نهاية، ج ٢٨، ص ٢٠٦، المقرئزي، اتعاظ، ج ٣، ص ٢٠٤.

١٦٩. ابن ظافر، أخبار الدول، ص ٢٥٠، ابن الطوير، نزهة، ص ٦١-٦٢، ابن الأثير، الكامل، مج ١، ص ١٨٤، وقد أفرد ابن الطوير باباً خاصاً لبيان دور أسامة بن منقذ في المؤامرة تحت عنوان: "أسامة بن منقذ يغري عباساً بالوزارة".

١٧٠. يقصد به ولده نصراً ليقوم بتنفيذ تلك المهمة إذ ذهب العادل للنوم لأنه كان معه بالدار، ولا ينكر عليه ذلك. انظر: ابن خلكان، وفيات، ج ٢، ص ١٩٩. وقيل أطلق على ولده أيضاً اسم نصر الدين. انظر: ابن منقذ، الاعتبار، ص ٤١، ابن الطوير، ص ٦٠، المقرئزي، اتعاظ، ج ٣، ص ٢٠٤.

١٧١. كان الظافر شديد الشغف بنصر بن عباس، ويحبه كثيراً، وقيل أنه كان أمرداً لم ير في وقته أحسن منه، ولم يكن يفارقه ليلاً ولا نهاراً. وذكر ابن الطوير أن الخليفة كان يأخذ ويصدر برأيه. ابن ظافر، أخبار الدول، ص ٢٥٠، ابن الطوير،

نزهة، ص ٦٢، ابن الأثير، الكامل، مج ١، ص ١٩١، ابن تغري، النجوم، ج ٥، ص ٢٩٣.

١٧٢. ابن ميسر، المنتقى، ص ١٤٦، النويري، نهاية، ج ٢٨، ص ٢٠٦، المقرئزي، اتعاظ، ج ٣، ص ٢٠٤.

وعدم رضاه عن تصرفاته^(١٧٣).

وبعد أن أسرَّ الأمير عباس لولده نصر بالأمر، سيَّره لمصر سراً، فاجتمع بالخليفة الظاهر بأمر الله وأخبره بالأمر فوافقه على ذلك^(١٧٤). فما كان منه إلا أن سار لبيت جدته زوجة الملك العادل بن السلار، وتحايل عليه بسبب مجيئه للقاهرة، وتركه العساكر ببليبس، حتى أن العادل لم يدر في خده شيئاً مما يخططون له^(١٧٥)، وعند المساء قام نصر بتنفيذ مخططه بدخول دار جدته من غير إذن^(١٧٦) بينما العادل نائم في فراشه لتعب ألم به في اليوم ذلك، فغافله نصراً ودخل إليه^(١٧٧) لقتله وهو خائف فلم يصبه برأسه، فهضض العادل مما اضطر نصراً للهرب منه^(١٧٨)، ولكن حصراً تمكن منه في النهاية بمساعدة بعض غلمانه وأصحابه، واحتز رأس العادل ومضى به للظاهر بأمر الله لباب القصر^(١٧٩). وقد أجمعت الروايات على مقتله في شهر محرم، ولكنها اختلفت في يوم مقتله إن كان في السادس منه، أو في الحادي عشر منه أو الثاني عشر منه^(١٨٠). وبمقتل ابن السلار أصبح الأمير عباس وزيراً للظاهر بأمر الله ولقب بسيف الدين الأفضل أمير الجيوش ركن الإسلام^(١٨١).

كان لالتقاء مصالح أطراف المؤامرة على ابن السلار عامل رئيس في اتفاقهم واجتماعهم على قتله والخلص منه، ومن خطره عليهم، فالأمير عباس طامع بالوزارة، كاره للحرب، وأسامة بن منقذ خصيصه، وسيحظى بالمكانة والتقدمة عند نجاح مؤامرتهم، والظاهر كاره للعادل منذ قتله صبيان الخاص^(١٨٢)، ونصر بن عباس نديم للخليفة، ولا يرفض له طلباً، كما لم يكن العادل محباً له لسلكه

١٧٣. ابن ظافر، أخبار الدول، ص ٢٥٠، ابن الطوير، نزهة، ص ٦٢.

١٧٤. أشار ابن الطوير في الاتفاق أن من شروط قتل ابن السلار تولية عباساً الوزارة مكان العادل فأجابه الخليفة لذلك، أما أبو شامة فقد أبرز تواطؤ الخليفة مع المتآمرين، أما المقرئزي فقد قال إن الخليفة أعجب بالفكرة وأذن لنصر ما يود فعله لما كان في نفسه من ابن السلار لقتله صبيان الخاص. انظر: ابن الطوير، نزهة، ص ٦٢، أبو شامة، الروضتين، ج ١، ص ٢٧٨، المقرئزي، اتعاط، ج ٣، ص ٢٠٦، Wiet: Al-Adil B. Al-Salar, v. 1, p. 198.

١٧٥. ابن ميسر، المنتقى، ص ١٤٧، المقرئزي، اتعاط، ج ٣، ص ٢٠٤.

١٧٦. كان نصراً يدخل دار جدته، زوجة العادل، من غير إذن وكان العادل قد قدمه عنده. انظر: ابن القلانسي، ذيل، ص ٣٢٠، أبو شامة، الروضتين، ج ١، ص ٢٧٨، ابن خلكان، وفيات، ج ٢، ص ١٩٩، ذكر المقرئزي أن زوجة العادل كانت قد دخلت للحمام وقت دخول نصراً بيت العادل. انظر: المقرئزي، اتعاط، ج ٣، ص ٢٠٥.

١٧٧. ذكر ابن الطوير أن نصر الدين دخل عليه من باب سر دار الوزارة ومعه عشرة نفر، وغلق باب النساء، وأخذ سيفه وقتله. انظر: ابن الطوير، نزهة، ص ٦٢-٦٣.

١٧٨. حينما ضرب نصر العادل على رجله، ثار العادل من فراشه فقال له: إلى أين يا كلب، وهرب نصر بعده واحس به جماعه من أصحابه، واعلمهم فقالوا له: "قد قتلت نفسك، وإباك وقتلتنا، أدخل بنا إليه"، فدخلوا فقتلوه واخذوا رأسه. انظر: ابن الطوير، نزهة، ص ٦٤، المقرئزي، اتعاط، ج ٣، ص ٢٠٥.

١٧٩. ابن القلانسي، ذيل، ص ٣٢٠، ابن منقذ، الاعتبار، ص ٤١، ابن ميسر، المنتقى، ص ١٤٧، أبو شامة، الروضتين، ج ١، ص ٢٧٨، المقرئزي، اتعاط، ج ٣، ص ٢٠٥.

١٨٠. ابن القلانسي، ذيل، ص ٣٢٠، ابن منقذ، الاعتبار، ص ٤١، ابن الطوير، ص ٦٤، ابن خلكان، وفيات، ج ٢، ص ١٩٩، Wiet: Al-Adil B. Al-Salar, v. 1, p. 198.

١٨١. ابن القلانسي، ذيل، ص ٣٢٠، ابن الطوير، نزهة، ص ٦٦، ابن الأثير، الكامل، مج ١١، ص ١٤٢، ١٨٤-١٨٥.

١٨٢. ابن الطوير، نزهة، ص ٦١-٦٤، المقرئزي، اتعاط، ج ٣، ص ١٣٩.

بل كان مرغماً على توليته إرضاء لزوجته^(١٨٣). وهناك من رأى في تعصب العادل للمذهب السني الشافعي ببناء مدرسة لهم سبباً موجباً للخليفة الظافر بأمر الله للخلاص منه، فأخذ يتحين الفرص لاغتياله حتى تم ذلك على يد نصر الدين بن عباس، بدليل أنه بعد مقتله أخذ يتقرب منه بالهدايا والعطايا^(١٨٤).

حاول أسامة بن منقذ تبرئة نفسه من تهمة التحريض على قتل العادل بن السُّلار مطلقاً على حادثة قتله بالفتنة، مظهراً أن المؤامرة حيكّت بين نصر الدين بن عباس والظافر بأمر الله دون ذكر لنفسه أو أي دور له، ومع ذلك فقد وجهت له أصابع الاتهام من قصة حكاها في يومياته أشار فيها لمسؤوليته عن أخطاء نصر الدين وصوابه^(١٨٥).

هذا وقد تباينت ردود الفعل حيال مقتل الوزير العادل السُّلار ، فقد أظهر الأمير نصر ولاءه للخليفة الظافر بأمر الله، وهذا أمر طبيعي منه، وذلك عند إحضاره رأسه لقصر الخليفة وقوله لخدم الخليفة "هذا رأس المنافق"، والغريب في الأمر أنهم عارضوه وقالوا له: "ما كان منافقاً"^(١٨٦). أما خاصة العادل ومؤيدوه، ومنهم جماعة من الأتراك كان العادل قد اصطنعهم لنفسه كانوا قرابة الثلاثمائة فارس، فقد اجتمعوا وخرجوا معبرين عن رفضهم لما وقع له، فشاغبوا على الخليفة الظافر بأمر الله وعباس، حتى أصبحوا مطلوبين مطاردين، مما اضطرهم لحماية أنفسهم بالسهم وغيره، حتى خرجوا لظاهر القاهرة، وهناك اجتمعوا بالأمير عباس أثناء عودته من بلبس فحاول تهدئتهم، وثنيتهم عما هم فيه، واستمالتهم بوعوده الجميلة والعمو عنهم، وإقرارهم على واجباتهم، وأعمالهم، والاستمرار في أرزاقهم لكنهم لم يطمئنوا له ولم يثقوا به، وتفرقوا عنه، وخرجوا حتى وصلوا دمشق في أواخر شهر محرم^(١٨٧).

وعلى الرغم من محاولة بعض الروايات إظهار غضب أصحاب الملك العادل ابن السُّلار على مقتله وتحديدهم الخليفة وعباس، إلا أن روايات أخرى أظهرتهم بالجبن والاستكانة وخاصة أتباعه من أهل السنة، لخوفهم من الظافر بأمر الله وعباس، حتى أدى بهم ذلك لنسيان سيدهم، وكأنه لم يكن، مع عدم رضاهم وكرههم لمقتله^(١٨٨). أما أسامة بن منقذ فيقدم رواية مشابهة لرواية ابن القلانسي وابن ميسر في بعض تفاصيلها، ولكنها مخالفة لها بعض الشيء، من خلال إشارته لخروج مماليكه

١٨٣. انظر تفاصيل تولية نصر لمصر من قبل العادل، وعدم رضاه عن اجتماعه بالظافر وخلوتهما مع بعضهما. ابن الطوير، نزهة، ص ٦٠، المقريري، اتعاظ، ج ٣، ص ١٩٩-٢٠٤.

١٨٤. المقريري، اتعاظ، ج ٣، ص ١٩٨-٢٠٦، خليل، الاغتياالات السياسة، ص ١٣٩، ٢٠٠-٢٠١.

١٨٥. أسامة بن منقذ، الاعتبار، ص ٤٢. حيث قال أسامة بن منقذ للأمير عباس عندما لاهه وجادله: "أنا معه في كل ما يعمل، ما أتبرأ من خطئه، ولا صوابه، خاطر بنفسه حتى نلت هذه المنزلة...".

١٨٦. ابن القلانسي، ذيل، ص ٣٢٠.

١٨٧. ابن القلانسي، ذيل، ص ٣٢٠، ابن الطوير، نزهة، ص ٦٤-٦٥، ابن ميسر، المنتقى، ص ١٤٧، المقريري، اتعاظ، ج ٣، ص ٢٠٥. وعن محاولة عباس بعد توليه الوزارة استمالة أمراء العادل بالأموال بالإحسان إليهم لكي ينسبهم العادل، ورفضهم

ذلك. انظر: ابن تغري، النجوم، ج ٥، ص ٢٥٦.

١٨٨. ابن الطوير، نزهة، ص ٦٥.

وأصحابه والبالغ عددهم ألفاً معترضين على مقتله، بنية قتال أصحاب الظافر بأمر الله وعباس، إلا أنهم عندما رأوا رأس سيدهم العادل رفع على الرمح، سكنوا وانقسموا لقسمين: أحدهما أعلن طاعة الأمير عباس وخدمته، والآخر طاعة الأمير نصر بن عباس^(١٨٩). ويظهر أنه كان لابن منقذ مغاز سياسية من وراء روايته هذه، ومنها إظهار خذلانهم لسيدهم ابن السُّلار، وتخليهم عنه وعن الولاء له بعد مماته، وإبراز التنافس على السلطة بين عباسٍ وولده.

أما فيما يتعلق بأثر مقتل العادل ابن السُّلار على العامة، فقد عم الفرح والسرور بعض أهل مصر لمقتله^(١٩٠) وقد يكون اتهامه بالظلم سبباً في ذلك. أما الخليفة الظافر بأمر الله، فقد ظاهر بفرحه بمقتله عندما حُمل رأسه إليه إذ أشرف من باب الذهب، ونصب رأسه ليراه الناس، ثم حمل لخزانة الرؤوس من بيت المال، وجعل فيها مع الرؤوس^(١٩١). كما سيطرت حالة من الخوف والهلع على أهل القاهرة لمقتله، مردها ما كان عليه العادل من القوة والنفوذ إذ تقاجأ الناس بمقتله لدرجة أنه لم يتجاسر أحدٌ منهم على الكلام، "ولم ينتطح في قتله عنزان"^(١٩٢). أما المقرئ فعبّر عن ذلك بقوله: "وما تحرك لها ساكن ولا تكلم أحداً"^(١٩٣). سوى امرأة نائحة يقال لها خُسروان كانت قد مهرت في صناعة النياحة على الأموات، فتذكر بنواحيها الوقائع^(١٩٤).

كان للمؤامرة ضد العادل بن السُّلار بمصر تأثيرات خطيرة على التطورات السياسية فيها، إذ كانت سبباً في عدم استقرار أوضاعها، حتى قادت لمؤامرة أخرى ضد الخليفة الظافر بأمر الله نفسه، وقتله بعد عام من مقتل العادل أي في عام ١٥٤٩هـ/١١٥٤م. ويعود ذلك كله للأمير أسامة بن منقذ مدبر مؤامرة قتل ابن السُّلار، الأمر الذي أدى ببعض أمراء الوزير العادل والمتعصبين له من أهل السنة بالاستعداد لقتل ابن منقذ لحقدهم عليه لتحسينه قتل العادل للأمير عباس وولده، وقيل إنهم كلموا الظافر بأمر الله بأمره، وملؤوا قلبه عليه، مظهرين خطره بينهم، فلما بلغه ذلك، أخذ يكيد مكيدة أخرى ضد الظافر بأمر الله، بتحريض عباس على قتله عن طريق ولده نصر بحجة الدفاع عن عرضه وشرفه لما يقال عن خلوتها ببعضهما البعض، وإختلاء الظافر بأمر الله بولده، وفعله ما يفعل بالنساء، فما كان من نصر إلا أن قتله^(١٩٥)، وهناك من يرى أن سبب مقتل الخليفة الظافر بأمر الله كان لإطماع سياسية للوزير عباس الذي خطط لهذا الاغتيال، وطلب من ابنه نصر مساعدته لتنفيذ ذلك لينفرد بالسلطة ويتحكم بالدولة بعد قتله^(١٩٦). مما اضطر الأمير عباس وأسامه بن منقذ للهرب

١٨٩. ابن منقذ، الاعتبار، ص ٤٢.

١٩٠. ابن ظافر، أخبار الدول، ص ٢٥١.

١٩١. ابن ميسر، المنتقى، ص ١٤٧، المقرئ، اتعاض، ج ٣، ص ٢٠٥.

١٩٢. ابن الطوير، نزهة، ص ٦٤-٦٥.

١٩٣. المقرئ، اتعاض، ج ٣، ص ٢٠٥.

١٩٤. ابن الطوير، نزهة، ص ٦٥، المقرئ، اتعاض، ج ٣، ص ٢٠٥.

١٩٥. ابن ظافر، أخبار الدول، ص ٢٥٢-٢٥٣، ابن ميسر، المنتقى، ص ١٤٨، النويري، نهاية، ج ٢٨، ص ٢٠٦، سيد، الدولة الفاطمية، ص ٢٧٨.

١٩٦. الوحيان، ولاية العهد، ص ٢٣٩.

بعد انكشاف أمرهما، ودخول طلائع بن رزيق للقاهرة واستيلائه على الوزارة^(١٩٧). وهناك من ربط سقوط عسقلان بيد الفرنج عام ١١٥٣/٥٤٨م بمقتل الملك العادل بن السلار في العام نفسه، على الرغم من تعدد أسباب سقوطها^(١٩٨)، وكان ابن الأثير من أوائل المؤرخين الذين ربطوا سقوطها باغتيال الوزير العادل بن السلار، وتولية الوزير عباس الصنهاجي الوزارة مكانه والذي سقطت عسقلان في عهده^(١٩٩). حيث تدهورت الأوضاع السياسية، واختلفت الأهواء، فانشغل أهلها بخلافاتهم عن عسقلان وإمدادها لقول ابن الأثير: "فلما كان في هذه السنة قتل ابن السلار الوزير... واختلفت الأهواء في مصر وولي عباس الوزارة، وإلى أن استقرت قاعدة، اغتتم الفرنج اشتغالهم عن عسقلان، فاجتمعوا وحاصروها"^(٢٠٠).

ومن المرجح أن قتل العادل بن السلار كان سببا في قلة الإمدادات العسكرية لعسقلان، فعندما تولى الوزير عباس الوزارة أبطل البدل الذي كان مقرراً لعسقلان، ويبدو أن الدفاع عن المدينة اقتصر بعد وفاة الوزير العادل على مدها بالزاد والعدة من البحر، وأصبح العبء القتالي ملقى على أهلها وحدهم لقول المقرئ: "وبطل مسير العساكر إلى عسقلان، فسر الفرنج فيما جرى، وكانوا محاصرين لعسقلان"^(٢٠١). وهذا يثبت ما كان للعادل من دور مهم في حماية عسقلان من السقوط بيد الفرنج. كما استغل الفرنج اضطراب الأوضاع السياسية في مصر بمقتل العادل لتنفيذ مخططاتهم باحتلالهم لعسقلان، فعملوا من خلالها في التأثير على أهل عسقلان؛ لإضعاف معنوياتهم وعزيمتهم عن القتال، وقد نجحوا بذلك لقول ابن الطوير: "وبلغ الفرنج المحاصرون عسقلان قتل العادل ابن السلار قبل وصول خبره إلى أهل عسقلان وهي محصورة، فقويت شوكة الفرنج، وقالوا لأهل

١٩٧. ابن زافر، أخبار الدول، ص ٢٥٥-٢٥٦، النويري، نهاية، ج ٢٨، ص ٢٥٩.
١٩٨. ذكر المؤرخون أسباباً كثيرة لسقوط عسقلان ففي الوقت الذي كان أهل عسقلان يستصرخون بالملك نور الدين محمود، ويستعد لمساعدتهم إلا أن الخلافات بين المسلمين مع بعضهم البعض حالت دون مساعدتهم. انظر التفاصيل: ابن القلانسي، ذيل، ص ٣٢٠، سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبي المظفر بن قزوغلي التركي (ت ١٢٥٤هـ/١٢٥٦م)، امرأة الزمان في تاريخ الأعيان، ج ٨، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط ١، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٩٥١، ج ٨، ق ١ (وقائع سنة ٤٩٥-٥٨٩هـ)، ص ٢١٥، سيشار له لاحقاً، سبط ابن الجوزي، امرأة الزمان، رنسيان، تاريخ الحروب الصليبية، ج ٢، ص ٥٤٨، كما رأى ابن القلانسي أن إصرار الفرنج على الاستمرار في حصارها ومقاتلة أهلها، كان سبباً في تسليم أهلها لمدينتهم. انظر: ابن القلانسي، ذيل، ص ٣٢١-٣٢٢. في حين أرجع ابن الأثير السبب في سقوطها لخلافات بين المدافعين عن عسقلان أنفسهم أيهما بذل جهداً أكبر في الدفاع عنها، وإجلاء الفرنج عنها، فاستغل الفرنج ذلك واحتلوا دون أن يجدوا من يمنعهم عنها. ابن الأثير، الكامل، مج ١١، ص ١٨٨-١٨٩. وهناك من جعل اضطراب الأحوال بمصر وعدم قدرتهم على المساعدة سبباً أو داعياً لتسليم عسقلان، وتم ذلك بإرسال أهل مصر رسالة لوالي عسقلان، وعلى أثرها سلم المدينة وفتح أبوابها للفرنج بعد أن تتالت استغاثاتهم وطلبهم النجدة. انظر التفاصيل: سبط ابن الجوزي، امرأة الزمان، ج ٨، ص ٢٢٥، الداوادي، كنز الدرر، ج ٦، ص ٥٦٣.
١٩٩. "فلما قتل ولي الوزارة بعده، وتمكن فيها، وكان جلدأ، حازماً، ومع هذا ففي أيامه أخذ الفرنج عسقلان واشتد وهن الدولة بذلك". انظر: ابن الأثير، الكامل، مج ١١، ص ١٤٢.
٢٠٠. ابن الأثير، الكامل، مج ١١، ص ١٨٨، أبو الفداء، المختصر، ج ٣، ص ٣٨، انظر أيضاً: خرابشة، طلائع بن رزيق، ص ١٨٨.
٢٠١. المقرئ، اتعاظ، ج ٣، ص ٢٠٦، دجاني، القاضي الفاضل، ص ١٩.

عسقلان: سلطانكم قتله ابنه فأنتم لمن تقاتلون؟ وصح الخبر لأهل عسقلان، فضعفت قوتهم، وأيسوا من النجدة فأخذها الفرنج^(٢٠٢). وقد رأى سيد أن استيلاء الفرنج على عسقلان كانت ردة فعل مباشرة لاغتيال ابن السُّلار، والتي وقعت في أيديهم في ٢٧ جمادى الأولى سنة ٥٤٨هـ/١١٥٣م، وبذلك فقد الفاطميون آخر ممتلكاتهم في الشام^(٢٠٣). وهذا يثبت ما كان لمقتل ابن السُّلار من أهمية في تلك الحقبة المهمة من تاريخ الدولة الفاطمية بمصر.

خاتمة

خلصت هذه الدراسة إلى إبراز أهمية منصب الوزارة في أواخر العصر الفاطمي بحيث كان موضع تنافس ونزاع، ولكنه كان من نصيب الأقوى، وكان الوزير العادل بن السُّلار أحد أبرز وزراء السنة الأقوياء الذين مثلوا ذلك العصر الذي اتسم بضعف الخلفاء في مقابل ازدياد قوة ونفوذ الوزراء، وعلى الرغم من قصر مدة حكم العادل ووزارته إلا أنه ترك بصماته الواضحة، بتقويته المذهب السني وأهله، ودعمه لحركة الجهاد ضد الفرنج، تمويلاً، وتحصيناً، وتخطيطاً، فكان رائداً لمشروع الوحدة العسكرية مع الشام ضد الفرنج زمن نور الدين محمود، دون غيره من وزراء مصر. وتوصلت الدراسة أنه كان لصفات ابن السُّلار الشخصية، كالحزم، والشجاعة، والقوة، ورجاحة العقل، وثقة الخلفاء الفاطميين به لنجاحه في المهام الخاصة والسرية التي أوكلت له الأثر الكبير في بلوغه الإمارة ثم الوزارة. أما صفة الظلم التي غلبت عليه فهي تعكس ما كان للقوة والبطش من سمة مهمة في ذلك العصر، ومن أثر في توطيد الوزارة والسلطة. وأكدت الدراسة ما كان لظاهرة الاغتيالات السياسية بعامتها، واغتيال ابن السُّلار خاصة من ويلات وكوارث على الدولة الفاطمية بمصر من عدم استقرارها السياسي، وظهور ضعفها وانحدارها، وانتشار الفتن فيها، واستنقواء الفرنج وتمثل ذلك بضياح عسقلان وسقوطها بيدهم، وأظهرت الدراسة أن اغتيال ابن السُّلار كان مقدمة لسلسلة من الاغتيالات، بحيث أصبح الاغتيال ظاهرة خطيرة مهددة للدولة الفاطمية، حتى طالت مؤسسة الخلافة نفسها بمقتل الخليفة الظاهر بأمر الله الفاطمي.

٢٠٢. ابن الطوير، نزهة، ص ٦٥. انظر أيضاً: المقرئ، إتحاظ، ج ٣، ص ٢٠٦.

٢٠٣. سيد، الدولة الفاطمية، ص ٢٧٨، انظر أيضاً: خليل، الاغتيالات السياسية، ص ١٤٢.

The Crisis of the Vizierate in the Period of the Fatimid Caliph al-Zafir bi-Amr Allah. The Vizier Al-Adil Ibn al-Sullar as a Model (544-548 AH / 1149-1153 CE)

Luay Ibrahim Bawanih*

ABSTRACT

This study examines the personality of the Vizier Al-Adil Ibn Al-Sullar, the circumstances of his period in office, his relations with the different political forces and his destiny. This study sheds light especially on the crisis in the vizierate in the period of the Fatimid Caliph Al-Zafir Bi-Amr Allah and shows its effects on the Fatimid caliphate in Egypt, giving a clear picture of Al-Adil Ibn Al-Sullar in this crisis. The study begins by examining his lineage and personality. It observes his military activity until he reached the vizierate. The study concentrates on his struggle with the Vizier Ibn Massal and shows the reasons for the struggle and its course until he reached the vizierate. The study shows his achievements in the field of education, his support of the Sunnis and his military reforms. The study shows his position toward the Frankish invaders and his military approach with Nur –Al-Din Mahmud against the Franks, as well as the contradiction in his qualities. The study concludes by examining the circumstances of his assassination and its impact on the Fatimid state.

KEYWORDS: Ibn al-Sullar, Vizierate, Caliph Al-Zafar Bi-Amr Allah, Fatimid State

* Associate Professor, Amman University College, Al-Balqa Applied University.,
Received on 23/8/2015 and accepted for publication on 9/12/2015.